ثقافة ومعمار

زيارة جديدة إلى البرلمان البريطانى

كلما دخلت إلى مبنى البرلمان البريطانى على ضفاف نهر التيمز، شعرت بمدى أهمية هذه المؤسسة التى احتضنت على مر ثلاثة قرون أو أكثر تجربة ديمقراطية تعد الأعرق فى العالم بلا جدال، وقد توصل العقل العملى البريطانى مبكرًا إلى أن الديمقراطية هى الحل والبديل للانقلابات العسكرية والهبات الشعبية وتيار الفوضى والارتباك.. وحمى البرلمان أصابت الشعب البريطانى من ظهور ديكتاتورات ترتدى الأقنعة القومية أو الوطنية وتدفع بشعوبها نحو الهزائم والنكسات والإهانات البالغة.

وعندما تدخل مبنى البرلمان تشعر أولاً بحضور التاريخ فى كل مكان، فالشعب البريطانى أمة لها تاريخ بهذا العمق المتواصل خلال أحقاب مختلفة والتجربة الديمقراطية هى التى حققت سياج الأمن واستيعاب جميع الأفكار وتحقيق منطق الإصلاحات لمواجهة متغيرات العصور.

وقد شهدت الانتقال بالمجتمع البريطانى من فكرة الاقتصاد المختلط ووجود القطاع العام إلى رحابة سوق حرة مفتوحة وتحت حماية القوانين التى تمنع استغلال المال العام، أو تدمير المصارف أو الإخلال بالضوابط المهيمنة على أسواق المال وحرية السوق فى دولة رأسمالية مثل بريطانيا لا يعنى غياب القيود، وإنما العكس هو الصحيح، فالقانون هو السيد والحاكم فى سوق تعتمد على الحرية الاقتصادية وفقًا للقواعد التى وضعتها المؤسسة التشريعية.. لقد حقق القانون فرصة مفتوحة أمام حركة رأس المال، لكنه فى الوقت نفسه يقف بصلابة أمام المغامرين واللصوص ولا يسمح لهم بدخول هذه المساحة.

وقد نمت الرأسمالية المالية على أيدى طبقة الأرستقراطية، التى انتقلت من التجارة وامتلاك الأراضى إلى الساحة الجديدة التى جاءت مع التصنيع والانفتاح الاقتصادى وقد وضعت الطبقة القادمة إلى سوق الأموال الضوابط الحاسمة لمنع التلاعب والنصب، وعندما تدخل المربع الخاص وسط لندن الذى يحكم هذا السوق، تنطبق عليك قوانين غاية فى الصرامة مع وجود البنك المركزى وحزام البنوك الرئيسية التى تمثل هيمنة الاقتصاد وحركة التداول النقدى.. ولأن لندن عاصمة للمال العالمى فإنها تجذب مئات المصارف وشركات الاستثمار التى تحميها القوانين من ممارسات الاحتيال والنصب.

الحرية إذن شراعها القوانين التى تميز تجربة الديمقراطية بشكل عام والتى تعنى انضباط المؤسسات فى أداء حركتها ونشاطها.. وفى ظل حماية القانون يستطيع السياسى - مهما بلغت

أفكاره من اختلاف - الوصول إلى البرلمان إذا استطاع الحصول على تأييد دائرته.. وفى بريطانيا لا يحتاج المرشح لأموال طائلة للفوز فى الانتخابات كما هو الحال فى الولايات المتحدة، وإنما يتطلب الأمر طاقة من العمل خلال سنوات طويلة من ساحة العمل السياسى والخدمات المختلفة لإقناع الناخبين ببرنامج يعبر عنهم وعن مصالحهم واحتياجاتهم، والمرشح للبرلمان عليه طرق أبواب أبناء الدائرة واللقاء معهم والنقاش بشأن أفكاره وبرامجه المختلفة، وقد صعد إلى البرلمان مجموعة كبيرة من أبناء البسطاء الذين حصلوا على تعليم وثقافة وتمكنوا من إقناع الناخبين ببرامجهم، والذين يمثلون الأقليات المهاجرة من إفريقية وآسيوية ضمنوا الوصول إلى البرلمان نتيجة اعتمادهم على أحزاب قوية ومساندة الدوائر لهم للوصول إلى مجلس العموم وكلما شاهدت النائبة ديانا أبوت شعرت بمدى أهمية الديمقراطية، فهى من أصول كاريبية، وتنتمى فى الوقت نفسه إلى يسار حزب العمال الحاكم، بمعنى أنها تنتقد قيم المجتمع الرأسمالى المسئولة عن تكوين المجتمع البريطانى الحديث وتستخدم أبوت دائمًا لغة حادة صدامية تعكس فكرها، ورغم أفكارها الراديكالية فهى من ضمن صورة الحزب الموجود فى السلطة وهى تشعر أنها أكثر إخلاصًا لقيم العمال عن رئيس الوزراء تونى بلير الذى يحكم منذ سنوات. لم تقف بشرة أبوت السمراء ضد وصولها إلى البرلمان ودخولها ساحة النجومية السياسية، فالمجتمع البريطانى يركز على الجدية والبرامج السياسية وهو ضد العنصرية البغيضة التى لا تزال تطارد بعض الشعوب فى العالم، وساعدت ميولها الراديكالية على أن تكون سياسية مميزة ذات موقف وصاحبة وجهة نظر. وهذه الأفكار هى التى قادت أبوت إلى البرلمان وتحتل مقعدها بداخله منذ سنوات، وفى دول أخرى يكون مصير مثل الذين على شاكلة ونهج البرلمانية البريطانية، إما فى ساحة للصمت أو الغياب القسرى بدعوى التطرف والأفكار الهدامة.

وأتابع كل أسبوع برنامجًا يقدمه الصحفى اللامع أندرونيل، الذى كان يرأس تحرير صحيفة الصنداى تايمز، حيث يستضيف ديانا أبوت باستمرار مع خصم سياسى لها هو مايكل بورتيللو. السياسى المحافظ وصاحب الأفكار المناهضة للراديكالية واليسار، ويجمع بين الاثنين دراسة واحدة فى جامعة كمبريدج، ويفصل بينهما الفكر والانتماء. ورغم الاختلاف السياسى والفكرى فهناك الاحترام والتقدير والمساحة المشتركة بالانتماء إلى البرلمان وقبول القواعد المنظمة له. وعندما دخلت قصر باكنجهام بعد فتح أبوابه أمام الجمهور أدركت أن الملكية الدستورية استطاعت الاستمرار لأنها ضمنت هوية البرلمان واستقلاله وقبول رأى الناس فى الحكومات التى تصل إلى سلطة الحكم ،ولا يزال التاريخ يذكر أن ونستون تشرشل هزم هتلر فى الحرب العالمية الثانية، لكنه خسر الانتخابات العامة بعد الفوز العسكرى، لقد جاء البرلمان بحكومة أخرى تستطيع قيادة معركة البناء الداخلى.

والرأى للشعب من خلال البرلمان وتلك نتيجة لمسيرة طويلة وصلت إلى قناعة النظام

البرلمانى، القادر على استيعاب كل شىء ويضمن التعبير عن رأى القوى الناشطة فى المجتمع واتجاهات المصالح الرئيسية.

ويبحث البرلمان فى الوقت الحالى اقتراحًا من حكومة العمال بتخفيض السن للتصويت فى الانتخابات العامة من ١٨ سنة إلى ١٦ سنة، وقد تابعت حلقة نقاشية حول الموضوع تتعلق بالنضج العام وحق الانتخابات وممارسة الدور السياسى مبكرًا لتجديد الأفكار والاتجاهات داخل المؤسسة البرلمانية، وقد شهدت بريطانيا صعود طبقة شابة دخلت مجلس العموم مع انتخابات عام ١٩٩٧ وصعود حزب العمال الجديد وتراجع حزب المحافظين، وكان لبروز هذه الفئة تراكمات عصر مارجريت تاتشر المحافظة، التى حركت حركة التنمية الرأسمالية مما أتاح لمجموعة كبيرة دخول الجامعات من طبقات فقيرة، والآن تشهد بريطانيا حركة جدال حول نية حكومة العمال فرض المصاريف الجامعية على الطلاب وتسديد قيمتها عقب التخرج والحصول على العمل.

ويرى أهل الانتماء اليسارى داخل الحزب الحاكم أن الخطوة تعد نكسة لحزب أعياه الوقوف وراء الطبقات الفقيرة ومساعدتها لوصول أبنائها إلى الجامعات والتعليم الأكاديمى.

والقضية متروكة للتصويت ويسعى تونى بلير لإقناع حزبه أولاً بهذا المطلب لإنقاذ سياسة التعليم الجامعى ومساندة الجامعات غير القادرة على الاستمرر فى ظل هذه الأوضاع الاقتصادية الراهنة.

وقد استوعب البرلمان البريطانى جميع القوى السياسية التى لديها مساندة من الدوائر الانتخابية، ولا تزال هنا عدة شرائح غير قادرة على دخول البرلمان بسبب تطرف مواقفها وانحيازها، إما إلى فكر عنصرى ضار أو إلى بعض الأفكار المتعصبة تجاه اليسار، وقد تمكنت عدة أسماء بارزة فى تيار الراديكالية البريطانية من الوصول إلى مجلس العموم وهو أعلى جهة تشريعية فى البلاد وتعبر عن استقرار السلطة، وحركتها الدائمة فى الوقت نفسه.

وخلال ١٨ سنة بالكامل كان حزب المحافظين يتولى الحكم نتيجة أغلبية برلمانية كاملة. لكن انتخابات عام ١٩٩٧ كانت الانقلاب أو الثورة عند طريق البرلمان، التى أطاحت بهذا الحكم. وقد شهدت سقوط رئيس الوزراء الأسبق جون ميجور وجميع الوزراء الذين كانوا معه من سلطة الحكومة، بعد أن تراجعت الأغلبية وانتقلت إلى حزب العمال الجديد، وقد خسر فى انتخابات هذا العام وزير الدفاع فى حكومة ميجور مايكل بورتيللو، وزير الخارجية مالكوم ريفكند نتيجة تبدل النظام السياسى وتحوله من المحافظين إلى العمال.

وتابعت خلال سنوات مهارة النقابى السابق آرثر سكار جيل الذى قاد إضراب النقابات لعمال الفحم الشهيرة ضد حكومة مارجريت تاتشر، وحاول سكار جيل تكوين حزبه الاشتراكى

الجديد لدخول البرلمان، لكنه فشل فى الحصول على تأييد شعبى، وقد حاول فى الفترة نفسها مليونير يملك الأموال الدخول إلى البرلمان عبر حزب جديد قام بتكوينه للتصدى لموجة الوحدة الأوربية لكنه فشل فى إقناع الناخبين بموقفه السياسى.

وقد عاشت بريطانيا واستمرت خلال عواصف جامحة بسبب برلمانها الذى كان ولا يزال قوة الجذب الرئيسية والمؤسسة التشريعية التى تتحكم فى أداء المجتمع.

والبرلمان كان الحامى من الغلو السياسى ومن التطرف ووجود منظمات تحت الأرض تعمل فى الخفاء، وعندما كنت داخل البرلمان البريطانى تجولت فى قاعاته وتأملت القيمة الحقيقية للديمقراطية بأنها ضمان ضد بروز الديكتاتورية والحكم الفردى. لقد ساعد البرلمان على نمو المجتمع لأنه يضمن وجود جميع الأفكار معًا فى نطاق التشريع ومحاسبة الحكومة ومراقبة أعمالها.

لقد جاء تونى بلير بفوز ساحق فى انتخابات عام ١٩٩٧ وحصل على أغلبية كبيرة وأعاد البريطانيون انتخاب حزبه فى عام ٢٠٠١ لكن بلير نفسه يعانى الآن نتيجة سلسلة من السياسات. لا تحظى بالموافقة العامة وهو يعترف بالصعوبة القائمة، حيث تقف ضده مجموعة قوية تهدد بالإطاحة به نتيجة الاعتراض على هذه السياسات، والتخلى عن «بلير» لا يتطلب مؤامرة أو تحرك دبابات وإنما يحسم الخلاف حوله «صندوق الاقتراع» فى انتخابات عام ٢٠٠٥ المقبلة، وعندما كنت داخل البرلمان البريطانى جاءت صور العراق وتولى سلطة وحيدة الحكم منذ أكثر من ثلاثين عاماً، حكمت بانفراد مطلق وعبر سياسة القبضة الحديدية، فكانت النتيجة هذه المأساة والنهاية الفاجعة والمهينة للقيادة نفسها التى طبقت هذا اللون السياسى المريض.

وأدرك أن أوربا دخلت فى عهود الصراع والحروب الأهلية لغياب هذا الشكل الأكثر قدرة على حماية الشعوب والأمم من مغامرات حكم الفرد. وتاريخ البرلمان البريطانى يمثل الكتاب المفتوح أمام الشعوب التى تريد القراءة لمعرفة نوع الدواء المطلوب لدفع مسيرة الأمم نحو التقدم.

وقد قال مفكر مصرى مبكرًا هو الكاتب خالد محمد خالد: إن علاج أخطاء الديمقراطية بالمزيد منها، لأن هذا الدواء أثبت فاعلية مهمة فى علاج الأوبئة الديكتاتورية التى تهدم شعوبها وتهدر ثرواتها. ولقد عدت إلى البرلمان البريطانى لقراءة تجربة مهمة لشعب عريق، والتجارب لا يمكن استيرادها أو تكرارها، لكن الممكن هو الوصول إلى صيغة ديمقراطية تصل بالكلمة للرأى العام والمؤسسات وحكم القانون وحق حرية الأحزاب ودور الصحافة الحرة ووظائف قوى المجتمع المدنى.

إن التجربة البرلمانية البريطانية تطل من عيون هذا المبنى العجيب فى معماره الجميل، وساعة بج بن التى تشير إلى الانضباط فى عجلة آلة التعبير الديمقراطى التى تقف وراء حركة المجتمع كله.

تكريم اسم المعمارى المصرى المهندس حسن فتحى

أعرب الأمير تشارلز، ولى العهد البريطانى عن إعجابه بإنجازات الجالية الإسلامية فى المملكة المتحدة، وأثنى على مسيرة من النجاح والتألق فى احتفالية ترعى جهود النشاط الاجتماعى والثقافى للوجود الإسلامى، والذى يصل إلى نحو مليونى مسلم يمثلون وجه التعدد والإضافة الإسلامية إلى الحياة البريطانية المعاصرة.

وجاءت كلمات ولى العهد البريطانى لتعبر عن التقدير البالغ للإسلام ودوره الحضارى وما يمثله من قيم وشريعة عادلة. وقال الأمير تشارلز: إن خطابه الذى ألقاه فى مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية منذ عشر سنوات لا يزال يمثل موقفه من الإسلام كعقيدة ونهج حضارى.

وكان ولى العهد البريطانى قد تحدث فى أكسفورد عن الدين الإسلامى بتقدير بالغ وبدعوة تطالب بالحوار والفهم والاستيعاب وإعادة تصحيح مجرى التاريخ، والنظر للإسلام من خلال رؤية تتجاوز الصراع والمواجهة التى كانت عنوان الحياة فى العصر الوسيط فى ظل عوامل أدت إلى عدم التعاون وشن الحروب الغربية على العالم الإسلامى.

ويمتاز الأمير تشارلز بثقافة عريضة وقراءة واعية لفصول الحضارة الإنسانية وهو دائمًا يدعو إلى حوار الحضارات واحترام الأديان وإعطاء الإسلام ما يستحقه من عناية لدوره البارز فى المسيرة البشرية، وإشاعة العلم والفهم والإنجازات خلال عقود الحضارة الإسلامية التى أطلت على المشهد الإنسانى، ولا تزال تمنح العطاء، ودعم القيم، ورسالة الإيمان.

وقد زار الأمير القاهرة واستقبله سماحة إمام الأزهر الشريف الدكتور محمد سيد طنطاوى، وعندما زار شيخ الأزهر لندن بدعوة من كبير الأساقفة السابق د. جورج كارى حرص الأمير تشارلز على دعوته فى منزله واللقاء معه تعبيرًا عن تقدير الإسلام ورسالته.

وخلال الحفل الذى شهدته العاصمة البريطانية أعرب ولى العهد البريطانى عن أهمية الإسلام فى تدعيم حياة مستقرة تقوم على الإيمان والأخلاق ومناصرة قيم المجتمع، وأشاد بالجالية الإسلامية فى بريطانيا وبالإنجاز الذى تحققه من خلال نشاط بارز فى جميع المجالات الإبداعية والإنسانية.

وقد دعت إلى هذه الاحتفالية صحيفة «مسلم نيوز» التى تصدر فى بريطانيا وتنظيم هذا اللقاء سنويًا لتدعيم جسور التفاهم بين قوى المجتمع البريطانى والجالية الإسلامية.

وقد تحدث رئيس تحرير هذه المطبوعة الإسلامية «أحمد فيرسى» فأشار إلى جهود ولى

العهد البريطانى وعمله واتصالاته المستمرة مع أبناء الجالية الإسلامية، وما يقوم به من رعاية لنشاط يتعلق بالمحافظة على التراث وتشجيع تعدد الثقافات واهتمامه الواضح بالنموذج الإسلامى فى مجالات الحياة والفنون والعمارة التى نمت على شاطئ حضارة وفكر الإسلام.

وأشار فيرسى إلى اهتمام الأمير تشارلز برعاية المواهب الشابة فى قلب الجالية الإسلامية والمنح التى تقدمها المؤسسة التى يرعاها لإتاحة الفرصة أمام شبان لدراسة نمو الحضارة الإسلامية والتعرف على نسقها المعمارى الذى يتألق فى بناء المساجد ودور العلم.

وتعطى هذه المؤسسة عدة منح لدراسة العمارة الإسلامية والتعرف على قواعد الخط العربى والاهتمام بالحرف التى نمت فى ظل حضارة القرآن الكريم.

وتحدث رئيس تحرير صحيفة «مسلم نيوز» عن الاهتمام الخاص لولى العهد البريطانى بنظم معمارية تنتمى إلى العالم الإسلامى ومبدعين فى ساحة الهندسة والبناء، وأشار إلى المهندس المصرى الراحل «حسن فتحى» الذى أعاد انتباه العالم إلى شكل العمارة الإنسانية- ووظيفتها فى تنمية العلاقة مع المكان وإثراء هذا الجسر.

والمعروف أن ولى العهد البريطانى يهاجم شكل العمارة الحديثة الأسمنتية والتى تعادى المشاعر الإنسانية وتسجن الإنسان داخل قلاعها القبيحة التى تقتل الروح والإبداع الإنسانى.

ويشير ولى العهد البريطانى دائمًا إلى المهندس المصرى حسن فتحى وإبداعه فى مشروع العمارة الذى يعود إلى ترجمة حاجات الإنسان وتجسيدها فى نسق بسيط يهجر نمط حضارة الستينيات التى استوردها العالم من الشكل الأمريكى الذى ساد واعتمد على نظام عمارة الأسمنت الصناعية، بينما يعود حسن فتحى إلى عمارة الطين التى تستجيب للحس الإنسانى. وأعطت الاحتفالية التى شهدتها فى نهج حضارة الإسلام والتيار المعاصر من الإبداع فى مجالات الإنجاز داخل بريطانيا وخارجها.

وفاز بالجائزة شخصيات متنوعة فى عالم الفن والدراسات الإسلامية والرياضية وشئون الحضارة والصحافة ومساندة القضايا الفلسطينية والوقوف مع الحق الإنسانى للشعب الفلسطينى الذى يعانى تحت سلطة الاحتلال الإسرائيلى وسيطرة العنف الذى تمارسه الحكومة فى تل أبيب تحت حكم آرييل شارون.

وأدانت أصوات بريطانية ما يحدث فى الأراضى المحتلة وما تقوم به قوات جيش الاحتلال الإسرائيلى من نسف المنازل والاعتداء على حقوق شعب يناضل للحصول على استقلاله وإنهاء الوجود العسكرى الأجنبى والتخلص من سلطة تمارس الاغتيال والعنف بلا تدخل رادع من الشرعية الدولية.

وضم هذا اللقاء شخصيات من الأحزاب البريطانية، وقد حضر زعيم الحزب الليبرالى

الديمقراطى تشارلز كيندى الذى عبر عن سعادته بحضور هذه المناسبات، والمشاركة فى تكريم شخصيات من الجالية الإسلامية.

وتحدث كيندى عن عطاء الجالية وشكل المجتمع البريطانى الذى يقوم على التعدد والاحترام الثقافى للعادات والتقاليد.

ويقف الحزب الليبرالى الديمقراطى وراء سياسة ليبرالية، تؤيد حقوق الأقليات العرقية وتناصر عملية الاندماج مع المحافظة على الهويات الثقافية والدينية، وقد عبر زعيم الحزب تشارلز كيندى عن احترام كامل للعقيدة الإسلامية والاعتزاز بعطاء أبناء الجالية الإسلامية.

وقد تمكنت الجالية من عبور أزمة الحادى عشر من سبتمبر بالإصرار على رفض الإرهاب وأنه لا يعبر عن الإسلام ولا يتحمل المسلمون مسئولية وأعباء هذا الحدث. وقد حاولت الأحزاب العنصرية فى بريطانيا استغلال ما جرى فى الولايات المتحدة للهجوم على المسلمين والصاق تهمة الإرهاب بهم، وقد نجح التعاون مع الحكومة والنظام فى تجاوز هذه الأزمة. وقد عملت الحكومة بسرعة شديدة على امتصاص مختلف عوامل التحريض وثبتت على إرث الديمقراطية الذى يرفض مبدأ العقاب الجماعى. وقد تحركت الأحزاب أيضًا فى تعميق جسور الاتصال مع المسلمين.

وخلال الاحتفال بمرور نصف قرن على تولى ملكة بريطانيا العرش أظهرت الملكة اليزابيث الثانية مشاعر الود والتقدير لأبناء الجالية واختارت زيارة لمسجد إسلامى فى لندن علامة لرعايتها مختلف الطوائف والمواطنين تحت راية المجتمع البريطانى.

ويقوم ولى العهد باتصالات دائمة مع الجالية الإسلامية فى حوار حضارى مستمر يعكس ثقافة الأمير تشارلز وعمق القراءات المتواصلة التى يقوم بها فى فصول الحضارات الكبرى خصوصًا تلك التى شبت تحت خيمة الإسلام.

وأعطت الاحتفالية جائزة للمصور والفنان البريطانى بيرساندرز، الذى دخل الاسلام وقام بجولات فى عالم الحياة الإسلامية لتصوير مظاهر الحضارة والعقيدة وسلوك الشريعة وعرضها أمام البريطانيين فى لقاءات ومعارض مختلفة. وتعطى لقطات المسلم ساندرز إطلالة صادقة على أشكال الحياة فى العالم الإسلامى. وعدسات الكاميرات التى يحملها تنقل قيم مجتمعات تعيش تحت ظلال الإسلام بقيمه العادلة.

وحصل الملاكم المسلم نسيم حامد على جائزة عن نشاطه الرياضى والسلوك الإسلامى المتميز المرتبط بعمله وحياته على ساحة الحياة البريطانية والعالمية.

وكان الاحتفال فى قلب لندن صورة لطبيعة تعدد حياة المجتمع البريطانى وشكل الإنجاز البارز لجالية مسلمة.

مصر فى قلب المنظومة الثقافية والحضارية

ترفرف على إجواء العاصمة البريطانية تيارات الثقافة العربية فى ظل اسهام بالغالتأثير فى مجمل النشاط المصرى الذى يفتح أبواب المؤسسات المختلفة لسلسلة من المحاضرات والنشاطات الفنية والثقافية والفكرية، مع اتساع رقعة الحوار وتبادل الأفكار وعمق القضايا المطروحة على الساحة. وتبدو لندن عاصمة ثقافية للعرب مع عناق الإبداع المصرى وتميزه مع تيارات الإنتاج العربى.

وتشهد لندن فى الوقت الحاضر النشاط البارز فى عملية تجديد مستمرة واتصال مع تيارات الإبداع المختلفة، وقد دخلت كلية بارزة فى لندن على خط دائرة الحوار بالدعوة الدائمة إلى موسم ثقافى متميز وسلسلة من المحاضرات التى تغطى قضايا العالم العربى، يعرضها مجموعة بارزة من الباحثين وأهل الاختصاص والرؤى الأكاديمية التى تتابع الحدث وتهتم به وتلقى عليه الضوء من خلال مناهج المعرفة والاجتهاد الأكاديمى.

وتشهد كلية الدراسات الشرقية والإفريقية مجموعة من المحاضرات والمعارض والندوات تلقى الضوء على قضايا المنطقة والملفات المتنوعة المرتبطة بها.

وتشهد قاعة برونای بالجامعة المعرض المدهش عن حضارة جزيرة العرب والأوراق التاريخية المرتبطة بالحقائق الجغرافية وحلقات التراث فى مسيرة مهمة تتعلق بالبحث فى جذور الرؤية الإسلامية التى خرجت من الجزيرة العربية تحمل إشعاع النور الحضارى.

ودائمًا لدى كلية الدراسات الشرقية والإفريقية الاهتمام بهذه الحلقات المتميزة من التاريخ فى قراءة واعية وثابتة عن الجذور وينابيع الرؤية المرتبطة بالتراث والتطور الاجتماعى والانفتاح على أفق العصر الحديث وأدواته العلمية.

ويضم معرض الجزيرة العربية عدة وثائق تتعلق بالجغرافيا والحقائق المرتبطة بها. وتعطى هذه الوثائق المهمة إطلالة بارزة على عصور التكون الجغرافى فى منطقة ثرية مثل بقعة الجزيرة العربية الحافلة بالتاريخ وحلقات التكوين العربى، والبعث الإسلامى الذى نقل المنطقة بالكامل من الجهل إلى النور ومن ظلام الجاهلية إلى ضياء وإيمان الإسلام.

ورافق المعرض سلسلة من المحاضرات واللقاءات لمجموعة من الباحثين والأسماء الأكاديمية فى علوم الآثار والحضارة والاهتمام بتيار التاريخ فى ظل الاكتشافات الجديدة وألقى د. سعد الراشد بحثًا مهمًا للغاية عن تاريخ الجزيرة العربية فى ظل الحفريات التى تم اكتشافها

والحلقات القديمة التى تلقى الضوء على التكوينات الحديثة وبروز المعلومات الجديدة التى قدمها جيل من الباحثين فى مجال موسوعة الجغرافيا.

وتعد تظاهرة قاعة برونارى فى كلية الدراسات الشرقية والإفريقية علامة على مدى اهتمام هذه المؤسسة العلمية بالموضوع العربى والغوص فى حلقاته العلمية وتناول الأحقاب القديمة والحديثة والمعاصرة.

ومصر دائمًا محور الاهتمام الأكاديمى فى الكلية البريطانية عبر المحاضرات والندوات التى تتناول تيار التاريخ المصرى من عهد الفراعنة حتى الآن. ويعكس هذا الاهتمام التركيز على طبيعة المشوار المصرى المتطور والذى يملك خصوصية بالغة التميز من خلال العهود التاريخية التى تركت بصمة على مجرى الحياة والواقع.

وتكشف نوعية المحاضرات والندوات التى تنظمها كلية الدراسات الشرقية والإفريقية ثراء فكرة التنوع واستيعاب النهر المصرى لعدة نماذج مازالت موجودة على تيار الحياة المعاصرة.

إن مصر القديمة متداخلة مع العصر الرومانى، مع الإغريق، مع سمات الحقبة المملوكية ودخول الإسلام لمصر وتكوين الحقبة الإسلامية وتطورها خلال عهد الفاطميين والفترة العثمانية، ثم عهد محمد على وقيام الثورة المصرية منذ خمسين عامًا.

وتعطى محاضرات المكتب الثقافى المصرى إطلالة عظيمة على حضارات الوطن خلال عصوره المختلفة. وكان الاهتمام فى السابق على الفترة الفرعونية فقط، لكن جدول النشاط الأخير أعطى الحقبة القبطية ثم الإسلامية مكانة أيضًا، إلى جانب الاهتمام بالفنون المعاصرة كما حدث فى إلقاء محاضرات عن نجيب محفوظ.

ويهتم النشاط الثقافى المصرى باتساع رقعة الاهتمام بمظاهر الحياة المتنوعة من أدب وفن وفتح الطريق أمام السينما والمسرح والموسيقى.

ويجرى تنظيم أمسيات للفن الكلاسيكى المتميز، لتأكيد هوية الفن العربى وجذوره العاكسة لطبيعة الشخصيات، ويفتح المكتب الثقافى المصرى أبوابه لمجموعة الفنانين العرب فى دلالة على الاتصال والتفاعل وتأكيد أن ثقافة العرب واحدة.

وعندما جاء الفنان العراقى ألفريد البابلى بعوده وعزفه والغناء الأصيل أشعل أمسية لندنية باردة بضياء الأصالة ودفء الموهبة والاتقان الجميل، حيث تندمج عدة عناصر فى «بوتقة» تجمع نسيم الإبداع والذوق والدراسة فى نغمة واحدة أصيلة تعكس سمات التدفق الفنى بكل جلال التأثير وخصوصية «البصمة» التى تحمل عنوان الفن القادم من أعماق حضارة عميقة فى نهر التاريخ.

ويربط البابلى بعزفه وغنائه بين النيل والفرات ودجلة، وتسمع إيقاعات نداءات من الكرنك وبابل تأتى من جوف التلاقى والحب والمودة. ويحب المصريون العراق - الفن والأصالة.

لذلك يأتى البابلى إلى المكتب الثقافى المصرى لعزف ألحان محمد عبد الوهاب بصدى بغدادى يعانق بابل القديمة وطيبة المصرية ونغمات «الجندول» الذى شدا به محمد عبد الوهاب الذى ترى بصمات خاصة به على طريقة عزف الفنان العراقى «ألفريد» فعلاً فى لغة التفرد الفنى.

وعكست أمسية «البابلى» الحب للعراق وأهله والصلاة فى محراب الفن أن ينتشل الله بغداد ويعيدها كما كانت عاصمة القوة والشجاعة والأصالة والديمقراطية والثراء الفنى العظيم.

وتحتفل العاصمة البريطانية باهتمامات أخرى فى طبيعة «النوتة» الثقافية الفنية مع اهتمام قاعة الكوفة بالأعمال التشكيلية العربية والترحيب بأفكار واتجاهات تعكس ثراء الواقع العربى والمجتمع الحالى، القائم فى بريطانيا.

وبجانب الفن التشكيلى هناك محاضرات وندوات عن حركة الشعر العربى والأفكار المختلفة فى طريقة التجديد والرصد الثقافى العام. وقد جاءت المحاضرة الأخيرة عن الشاعرة العراقية نازك الملائكة بمنزلة إعادة قراءة مسار هذه الناقدة والأديبة التى غيرت مجرى الشعر العربى الحديث فى أول اقتحام من نوعه للهيكل القديم وإعادة الصياغة فى تيار القصيدة الحرة القائمة على التفعيلة.

وقد تحدث فى هذا اللقاء د. صلاح نيازى فى إعادة تقويم مهمة لدور نازك الملائكة وخصوصية التجربة التى قامت بها وأفسحت الطريق أمام أجيال من الشعراء مثل: صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطى حجازى فى مصر.

وانضمت إلى المشهد الثقافى فى بريطانيا قاعة مركز «الروم» التى قدمت معادلة مهمة للغاية فى اتصال الفن والثقافة بالقناعة الدينية والتراث الحضارى للإسلام مع التركيز على قضايا الوطن العربى مثل الموضوع الفلسطينى.

وقدمت «الروم» عشرات الأمسيات ما بين السينما، الشعر، والموسيقى فى تواصل مع لغة الإبداع والتركيز على دائرة الحوار المفتوح مع دوائر الفكر والثقافة فى بريطانيا والعالم العربى.. وشهدت قاعات المؤسسة الجديدة الحوار البارز حول موضوع الهوية ودور التراث ورفض الاحتلال والتنديد به، والدعوة إلى الفكر المستقل غير الخاضع للهيمنة، وقيود الدبابات.

وتشهد الساحة العربية فى بريطانيا ازدهار العمل الثقافى فى ظل ترسيخ قيم الحوار المفتوح فى ظل ديمقراطية تؤكد فكرة التعدد، ويعطى الاجتهاد الإسلامى إضافة مهمة فى هذا الطريق تحمى الثوابت والخصوصية القائمة على قناعة الإيمان والتوحيد.

إن متابعة قضايا الفكر والثقافة فى لندن تدفع نحو رصد هذا النشاط الهائل والذى تقف فى قلبه مصر، بكل ثراء العطاء وتعدد المظهر الحضارى المتميز، الذى جعل اللحن المصرى فى «جوقة» الحضارة تردده عشرات الأصوات، من عهد الملك «مينا» موحد القطرين إلى العصر الراهن بإيقاعات فرعونية قبطية وإسلامية.

الديمقراطية تسمح بالتعبير عن ثقافة الآخر

تشهد العاصمة البريطانية نموًا يمنحها أكثر من صفة مع اتساع رقعة انتشار الجاليات القادمة من الشرق والغرب، ومن منابع الشمال وأرض الجنوب، ورغم صراع أحزاب اليمين ضد هجرات تستقر فى بريطانيا فإن العاصمة تزدهر بهذا التعدد الثقافى الذى يمنح لندن خصوصية بالغة الثراء فى تنوع المظاهر وتعدد الوجوه، وخصوبة حياة إنسانية تلمحها فى كل مكان داخل حزام عريض وممتد فى جميع الأرجاء.

وتستطيع عندما تتجول فى مناطق «الكوفنت جاردن» رؤية لوحة إنسانية عريضة تضم جميع الألوان والثقافات تلتقى كلها فى بقعة واحدة بلا خلاف أو صراع، وإنما للعزف على أوتار الإبداع البشرى فى أعلى درجاته.

والتجوال فى لندن، العاصمة الكبرى، متعة حقيقية للعين، والإشباع من تعدد لغة الثقافات مع عناق مستمر مع القصة الإنسانية الطويلة عن حوار الشعوب مع بعضها فى ظل الرغبة فى المعرفة والانكشاف نحو الآخر، والشعوب التى أغلقت نوافذ الاتصال أصابها الموت والشيخوخة المبكرة، أما تلك التى اختارت الحوار والانفتاح تمتعت بازدهار كامل.

وتطالب الأحزاب العنصرية بريطانيا بغلق الأبواب أمام مهاجرين يحملون خبرات وثقافات، حرصاً على النقاء الإنجليزى ومقاومة غزو جماعات من الشمال والجنوب، وقطاع الشرق على وجه الخصوص. وترفض العقلية العملية البريطانية الخضوع للنداء الانغلاقى لأحزاب متطرفة وقوى اليمين، والتعنت ضد الآخرين وثقافاتهم وألوان حضارتهم.

وقد تعمق العداء للأجانب خلال حكم المحافظين الذى استمر طويلاً، وقد طبقت البارونة تاتشر، عندما كانت فى السلطة، عشرات القوانين لمحاصرة الأجانب ومنع إقامتهم فى البلاد، وعندما جاءت حكومة «العمال» فى عام ١٩٩٧ تحدثت عن تعددية بريطانية فى ظل إطار التنوع، وقد تعرضت الحكومة لضغوط اليمين، خصوصًا فى البرلمان والاعتماد على صوت حزب المحافظين للتصويت على قرار الحرب ضد العراق، هذه الصفقة السياسية تجعل الحكومة راغبة فى إرضاء هذا اليمين ووضع المزيد من العقبات أمام المهاجرين لهذا البلد.

ويلعب وزير الداخلية ديفيد بلانكيت دور التشدد فى تطبيق القوانين الجديدة، التى تحتج عليها المنظمات والهيئات الحقوقية البريطانية.

ورغم تعثر حكومة «العمال» نتيجة ضغوط قوى اليمين فإنها بشكل عام مع التعدد ومظاهره

ونشاطه، وترحب بإسهامات الأقليات العرقية فى ظل سماحة عامة تظلل المجتمع البريطانى. وقد استغلت مجموعات متطرفة هذا المناخ لتعميق ثقافة الكراهية، بدلاً من استثمار الجو العام لاتساع رقعة الوجود الإسلامى الذى ازدهر فى بريطانيا خلال السنوات الأخيرة بشكل لافت.

لقد سمحت سمات المجتمع التعددى بوجود جالية إسلامية بهذا الحجم تمارس نشاطها بحرية مطلقة دون تدخل من السلطات، وقد انتشرت دور العبادة الإسلامية مع استيعاب المجتمع البريطانى للإسلام والترحيب به وإفساح المجال أمام وجود المساجد فى قلب أغلب الأحياء البريطانية دون احتجاج.

وقد سعت منظمات عنصرية للهجوم على الإسلام والمسلمين غير أن يقظة الحكومة منعت من تحقيق هذا الهدف وطبقت قوانين الحماية الشاملة على جميع المناطق التى فيها أقليات إسلامية.

وشهدت المناطق الإسلامية داخل الأحياء البريطانية نمو الجاليات ومساهمتها فى نشاط البلديات والأحزاب السياسية والتجمعات المختلفة فى مناخ الديمقراطية الذى يسمح بحق التعبير والاختلاف وتجسيد الرأى الآخر، وقد تمكن المسلمون من دخول مجلس العموم وطرح بعض القضايا من خلال منطق إسلامى يعكس اهتمامات ومصالح الجاليات، تم إعطاء عدة مقاعد فى مجلس اللوردات لممثلى الجالية الإسلامية.

وقد تحقق هذا الإنجاز بسبب إطار الديمقراطية والقانون والمظلة العامة التى يتحرك تحتها أفراد المجتمع. وقد سمحت الأطر الديمقراطية بنمو الجماعة الإسلامية فى إطار الانخراط دون التقوقع.

وأدت هذه الحقائق لانتشار الإسلام بين البريطانيين أنفسهم بسبب السماحة والتقوى والمحافظة على قيم العائلة، وقد سعت مجموعات التطرف والانغلاق إلى خطف الدعوة الإسلامية وتحويلها إلى مناطق أخرى أضرت بوضع الجالية الإسلامية فى حديث الغلو والتعصب ورفض الآخرين والهجوم عليهم.. لقد سمح المجتمع البريطانى بوجود الآخر واحترام تقاليده وأثنى على قيمه، ولابد فى الجانب الآخر إبداء الاحترام لهذا المجتمع الذى حقق سماحة عالية فى استيعاب الآخرين وحماية حقهم فى التعبير عن أنفسهم بلا تدخل من السلطات أو إجراءات حكومية.

إن بريطانيا دولة متسامحة تجاه الجميع، وهى تهتم بالإسلام والمسلمين فى ظاهرة واضحة، حيث إن الملكة إليزابيث العام الماضى فى ظل احتفالات بمرور خمسين عامًا على تربعها على العرش قامت بزيارة مسجد إسلامى والتقت بأبناء الجالية الإسلامية.

ويقول العالم الإسلامى المصرى د. زكى بدوى إن القرآن الكريم الآن يتلى خلال المناسبات الرسمية البريطانية وتتم دعوة العلماء المسلمين فى جميع احتفالات العرش والحكومة مما يؤكد الاحترام الكامل للعقيدة وأهلها والقيم التى تمثلها.

ويؤكد ولى العهد البريطانى الأمير تشارلز دائمًا احترام العقيدة الإسلامية وفهم نهج الحضارة التى ساهم بها الإسلام فى إثراء الفكر الإنسانى والتجربة البشرية.

ويحضر الأمير مناسبات عامة للجماعة الإسلامية المعبرة عن جموع أبناء الجالية التى يهمها هذا الانتشار والتطوير.

وقد اتسعت حركة بناء المراكز الإسلامية فى جميع عموم بريطانيا خلال الآونة الأخيرة. وقد حضرت احتفال افتتاح المركز الإسلامى فى مدينة أدنبرة الاسكتلندية، ولدى العاصمة التجارية والاقتصادية «جلاسجو» مركزها الإسلامى البارز، وفى «ويلز» جالية إسلامية كبيرة فى قلب مدينة برمنجهام أيضًا توجد عشرات المساجد والمناطق الإسلامية.

وقد استغلت بعض وجوه التطرف هذه الأماكن لبث ثقافة غير إسلامية تدعو إلى العداء والانغلاق وكراهية الآخرين ورفض سمات المجتمع البريطانى نفسه، واعتبرت هذه الأصوات أنها تجسد جميع أبناء الجالية واحتكرت التعبير عن الإسلام وقدمت نفسها على أنها تفسر القرآن الكريم، وأنها الوحيدة التى تملك تمثيل الإسلام فى بريطانيا. وكان انفراد هذه الأصوات يشكل خطرًا على الجالية وعلى الإسلام ذاته وعلى الوجود الإسلامى فى بريطانيا، واستجابت هذه الأصوات للدعوة الخبيثة عن صراع الحضارات والأديان وهى التى يروج لها رموز التطرف فى الولايات المتحدة.

وسعت أصوات الاعتدال الإسلامى للتصدى لهذا التيار والرد عليه وتأكيد أن الإسلام دين حضارة وحوار وفهم، ويسعى للاتصال مع الآخرين.

وقد تولى العالم الإسلامى د. زكى بدوى مهمة التصدى لهذا التيار مع مجموعة من الدعاة المصريين أمثال د. أنس أبو شادى نائب مدير المركز الإسلامى فى لندن. وقد ركز الاعلام البريطانى على أباطرة التطرف فى محاولة خبيثة للتأكيد أن هذا هو الإسلام وتخويف البريطانيين من الدعوة الإسلامية، ونجح الإعلام البريطانى فى الربط بين التطرف والإسلام وعقد صلة بين الدين الحنيف والإرهاب. وساعد رموز التطرف على هدم إنجازات طويلة للجالية الإسلامية تمتد إلى نصف قرن وتحقق لها هذا الانتشار والنمو فى مجتمع يشجع على التعدد ويرحب له.

والمجموعة التى تنحاز إلى التطرف غريبة عن الإسلام وهى غير متعلمة ولا مطلعة على مقاصد الشريعة الخيرة والإنسانية، وقد تصدى العالم المصرى د. زكى بدوى لواحد من هؤلاء

على الهواء مباشرة واتهمه بالجهل وعدم القدرة على فهم الشريعة وأنه لا يحق له الإفتاء لأنه غير مؤهل لذلك على الإطلاق.

وكان ترك دعاة التطرف هو تسميم عقول بعض الشباب الذى انحاز إلى العنف مع أن الدعوة هى بالإقناع وخلال الموعظة الطيبة والكلمة الحسنة.

وأمام الجالية الإسلامية مهمة حيوية للغاية لتأكيد مقولة الحوار تحت مظلة الديمقراطية والبرلمان والقانون البريطانى. إن بريطانيا التعددية تمنح البعد الإنسانى صفة التعايش بلا تناحر أو خصومة، فجمال الديمقراطية أنه يسمح بالخلاف السلمى والصراع بلا دماء أو صدام وتعد الديمقراطية أنبل ظاهرة إنسانية لاحتواء اتجاهات البشر وتجسيد الرأى الآخر دون استخدام الدبابات أو المتفجرات.

إن التطرف يهدد الصورة الإسلامية، وأهل الاعتدال الإسلامى عليهم مهمة المحافظة على الحوار الذى يسمح به المجتمع البريطانى. لقد أحب البريطانيون بالإسلام خلال نصف القرن الأخير والتجربة مرشحة للنمو عبر المزيد من الاندماج والتفاعل وليس تعميق العزلة والكراهية.

وإعادة قراءة القرآن الكريم تؤكد أن الدعوة هى بالبرهان والإقناع، وقد تحقق للجالية الإسلامية إنجازات كبيرة فى بريطانيا مهددة بسبب التطرف وما قام به دعاة الانغلاق والكراهية. لقد رحب المجتمع البريطانى بنا وأعطانا الحقوق العامة والديمقراطية وهذا الموقف يدفع الجالية للمزيد من التفاعل مع قيم تشجع على الرأى الآخر مهما كانت أفكاره. وبريطانيا يثرى حياتها هذا التعدد والتنوع ويكفى السير فى المناطق العربية للوقوف على حالة استيعاب الآخر وتركه يجسد مجموعة القيم والثقافة وسلم العادات ومنطق التقاليد.

حوار الحضارات

شهدت بريطانيا خلال الآونة الأخيرة مجموعة من الندوات والمؤتمرات واللقاءات حول العلاقة بين الشرق والغرب، وموضوع الاحتكاك الحضارى فى إطار التعاون بعيدًا عن المجابهة والصراع. وقد طرح مجموعة من المفكرين الغربيين فكرة صراع الحضارات بعد نهاية مرحلة حرب الأيديولوجيات واشتباك الأفكار على ساحة الحرب الباردة التى قسمت العالم إلى محورين.

وكانت نهاية الحرب الباردة والاستقطاب الدولى بادرة تحمل الأمل فى الاستقرار مع توجه العالم نحو التفاهم والاتصال فى ظل تقنية معاصرة فى قرن العلوم والثقافة للهيمنة الجديدة. وهذا الأول تبدد مع حادث الحادى عشر من سبتمبر، وعودة الحديث مرة أخرى بشكل حاد ورسمى عن فكرة صراع الحضارات والمواجهة بين الشرق والغرب فى صراع الأديان والأفكار والصدام الحاد على قاعدة التناقض.

ونمت الأفكار السلبية فى امتلاك اليمين الغربى ناحية القيادة والحديث عن حرب جديدة تنطلق من الغرب نحو الشرق لتأديب المعارضين ونشر ديانة ثقافية جديدة فى نطاق العولمة. وتوزيع المنهج الغربى على حساب خصوصيات الحضارات المختلفة ومنها الإسلام.

وانتشرت فى بريطانيا عشرات الندوات المفتوحة بدعوة علماء من الشرق والغرب للمشاركة فى الاجتهاد الفكرى وطرح قضايا ذات أبعاد حضارية وإنسانية تعمل على إزاحة إرث الخلاف والعودة من جديد للحوار ولكن على أسس واضحة.

وقد شارك علماء من مصر والعالم العربى فى الحوار الدائر وطرحوا منطق التعامل بندية كاملة، فالغرب لديه إنجازاته الحضارية العلمية. لكنه اعتمد على إرث الحضارة الإسلامية التى اعتمد عليها بالكامل فى ترسيخ نهضته المعاصرة.

ولدى الشرق أيضًا التراث والتاريخ ومجموعة القيم التى تبلور ثقافة قوية غير قابلة للانصهار أو الطمس.

وهناك حقيقة مهمة تبرز فى العالم الغربى ولم تكن موجودة من قبل، وهى وجود جالية مسلمة كبيرة تصل إلى الملايين فى عواصم الحوار الأوربى وعبر الأطلنطى، وخلال زيارة أخيرة إلى اسكتلندا التقيت بمجموعة من أكاديميين مصريين وعرب فى جامعات اسكتلندا المختلفة يقومون بالتدريس فيها والمشاركة فى الهيئة العلمية.

وعندما توجهت إلى جامعة كارديف فى ويلز التقيت بمجموعة أخرى من الأكاديميين العرب يتحركون فى دائرة الحوار ويتحدثون عن إرث الشرق ورؤيته وعطاء الإسلام وأنه يقدم صيغة حضارية تعتمد على النقاء الأخلاقى وعبادة الله وحماية القيم والمحافظة على بناء الأسرة.

والإسهام الإسلامى يسعى لإعطاء الحضارة المعاصرة بصمة الإيمان والاعتماد على قوة النصوص والفضيلة الدينية ووقف انهيار التنمية الحديثة التى تتطرف فى معانقة القيم المادية.

وفى جامعة أكسفورد التقيت بمجموعة من الدارسين والأكاديميين العرب والمصريين فى دائرة الحوار والاجتهاد.

وتشهد أكسفورد التى ظلت لقرون طويلة تغلق أبوابها أمام الإسلام بناء المركز الجديد للدراسات الإسلامية فى هذه المدينة التى عاشت محتفظة بتقاليدها وقيمها المستمدة من العقيدة المسيحية لأحقاب طويلة.

ويعتمد بناء مركز أكسفورد على ثوابت العمارة الإسلامية على يد المصرى البارز د. عبد الواحد الوكيل، حيث صمم هذا البناء المعمارى فى قلب أكسفورد معتمدًا على فكرة العقيدة الإسلامية، حيث يوجد المسجد والمأذنة الشائقة، ومختلف رموز عمارة مستحدثة من تراث طويل.

ومجرد بلورة هذا البناء الإسلامى فى داخل أكسفورد الغربية والمسيحية يعنى مدى تأثير الإسلام ووجوده كحقيقة على الأرض الغربية، ويدعمه هذا العدد الهائل من الدارسين ورجال الفكر وأصحاب نظريات الحضارة الذين يعبرون عن فكر جديد ومختلف، لا يشعر بأنه أقل من الغربى، وإنما على العكس ينتمى إلى حضارة يفخر بها ويتباهى بإنجازاتها على مدى قرون.

ومتابعة الكتب الصادرة عن الإسلام فى بريطانيا وحدها تؤكد حقيقة قدرة الفكر الإسلامى على طرح وجهة نظره فى قضايا التاريخ والحضارة والفن والأدب والتنمية الإنسانية بشكل عام.

وأصحاب المنهج الإسلامى لديهم قدرة على الحوار والشرح والجدال عبر المعلومات والبيانات، وقد حضرت ندوة فى جامعة أكسفورد تحدث فيها علماء بأسلوب الإقناع والدفاع عن قيم وأسلوب حضارة. وعندما جاء الشيخ يوسف القرضاوى إلى لندن وتحدث فى المركز الإسلامى بالعاصمة احتشد الآلاف من أجيال إسلامية للاستماع إلى خطابه والتحليل الفكرى لقضية الشرق والغرب وأهمية الحوار فى ظل التكافؤ والندية.

وفى جامعة «اكستر» استمعت إلى حوار جاد، قاده مجموعة من الأكاديميين العرب فى

مواجهة غربيين. وقد طرح الفريق العربى رغبته فى التعاون واللقاء وتنمية المصالح المشتركة، لكن من خلال احتفاظ كل حضارة بأصولها وقواعدها وثوابت حياتها،فمن غير الجائز أن يأتى الغربيون لتعليم العرب كيف يعيشون فى حياتهم وينظمون منازلهم!! أن العربى يتطلع إلى فكر الغرب وعلومه، لكنه يحفظ تراثه ويعتز به ولا يريد المغامرة بترك هذا الإرث للحصول على العلوم والمعارف الغربية.

وهناك فريق فى العالم الإسلامى والعربى أيضًا يطالب بالعزلة والعودة إلى الأصول والانغلاق فى وجه المعرفة الحديثة إذا كان الثمن هو التخلى عن التقاليد والعقيدة وثوابت مرتبطة بقيم طويلة من موضوع التنمية الأخلاقية.

لكن أهل الاعتدال والوسط يحبذون الاتصال مع الغرب، لكنهم يطرحون الخلاف الواضح معه حول قضايا الثقافة والعادات والموقف من فلسطين.

لقد انحاز الغرب لإسرائيل نتيجة عقدة الحرب العالمية الثانية، ويدفع العرب ثمن أخطاء «هتلر» الأوربى والمسيحى. لكن انحياز الغرب تجاوز القانون الدولى والأعراف الإنسانية فى ترك أرييل شارون يقوم بتدمير مؤسسات شعب والاعتداء على حقوقه وممارسة القتل اليومى والتدمير ويقوم زعماء فى الغرب بوصف «شارون» بأنه رجل سلام!!

وقد عاشت بريطانيا خلال الشهور الماضية حالة من الحوار الجاد الذى تناول كل شىء تقريبًا من العلاقة مع أوربا حتى الشرق الأوسط والتعامل مع العالمين العربى والإسلامى.

وسجلت المحاورات الدائرة فى عمق الحياة وداخل المؤسسات الأكاديمية وجود هذا الحضور العربى والإسلامى عبر مجموعة من أهل الاجتهاد الفكرى وأصحاب الاتجاهات القوية فى مقاومة وجهة النظر الصهيونية التى تريد إشعال الحرائق فى العالم حتى تستمر إسرائيل.

وخلال مناسبات عدة كان د. زكى بدوى عالم الإسلام المصرى يطرح القضايا بأسلوب علمى يدافع عن العقيدة والحوار ومنطق الحفاظ على هوية الحضارات فى إطار التعاون وليس الصدام.

ويتمسك الجانب العربى الإسلامى بالرد على افتراءات الصهيونية وانحيازها لمقولة الحرب والتدمير، بينما يسعى عقلاء المفكرين إلى تأكيد أهمية التعاون والاعتراف بالخلاف وقبول وجهة نظر المنطقة التى تريد تنمية حياتها فى داخل أفق تراثها وثوابتها.

وطرحت محاور الحوار قضية الهوية، وأن الانفتاح على الحضارة الحديثة لا يعنى التخلى عن موروث القيم وثوابت التراث ومنطق الحياة فى الشرق الذى يستمر وفقًا لإيقاع مختلف يعبر عن ظروف المكان والمناخ وتراكم الخبرة الإنسانية الطويلة على مسرح الشرق الحضارى.

وقد لمس الكاتب المصرى الراحل يحيى حقى هذه المعادلة فى روايته الرائعة القصيرة «قنديل أم هاشم» عندما عاد د. إسماعيل من الغرب وعلي قناعة بأن علمه هو القادر على معالجة المنطقة من عمى الجهل وضعف البصر الثقافى، وقد حاول معالجة ابنة عمه «فاطمة» بالدواء الذى جاء من الخارج ورفض الدواء الشعبى القادم من زيت القنديل فى فناء مسجد السيدة زينب.

وقد رفضت فاطمة دواء الغرب من د. إسماعيل، وعادت إليه عندما وضعه فى إناء زيت القنديل الذى كانت تستخدمه فى علاج ضعف بصرها.

رواية يمكن الكتابة عنها مجلدات لأنها وصلت إلى لب الحقيقة ببساطة شدية وهى أن الحل فى علوم الغرب بالامتزاج مع تراث الشرق.

وتغليب عنصر الغرب على الشرقَ أو العكس لن يحل فكرة ضعف البصر الثقافى الذى يتطلع إلى الحياة.

ودائمًا الحلول المصرية ترد على معضلات الحضارة، بسبب خبرة طويلة وإرث شعبى قديم اكتسب معارفه وخبراته عبر نهر السنين، وكان حقى مؤلف «قنديل أم هاشم» يضع نبض قلبه على دقات الشعب المصرى.

وخلال متابعة لكل نشاط الحوار مع الغرب فى بريطانيا كان يلمع فى ذهنى حل يحيى حقى البديع وهو علوم الغرب فى داخل إناء الشرق الحضارى والقيمى والدينى.

لقد انتهت عملية هيمنة حضارة على أخرى، والسلاح لا يملك فرض النمط الحضارى ولا حل القضايا المعلقة التى ينهى أزماتها الانحياز للحق والعدل معًا.

القانون وحق الاختلاف

أكد البريطانيون خلال زيارة الرئيس الأمريكى جورج بوش ممارسة الحقوق الديمقراطية والتعبير عن الاختلاف فى الرأى ومعارضة الحروب باعتبارها الوسيلة الوحيدة لحل الخلافات الدولية.

وكانت تظاهرة يوم الخميس الكبرى التى طافت بوسط العاصمة هى التجسيد الواضح للديمقراطية فى أعلى درجات الالتزام واستخدام الفنون والموسيقى لتأكيد حرية الرأى وحق المواطن فى التظاهر والاحتجاج تحت راية القانون وفى حماية الشرطة.

وقد وصلت المجتمعات الأوربية إلى صيغة متقدمة للغاية تضمن حقوق التعبير وتأكيد الاختلاف فى إطار الثوابت القانونية وعدم الخروج عليها، وجاءت مسيرة يوم الخميس أوضح صورة لنضج الديمقراطية، فلم تحدث اضطرابات أو مواجهة مع الشرطة.

وقد تحول ميدان الطرف الأغر لمسرح ديمقراطى مفتوح لكلمات الخطباء وأنصار السلام والمعترضين على زيارة الرئيس الأمريكى بوش فى احتجاج صريح على مواقفه المتشددة، والغزو الذى قام به على العراق.

وتزامن الاحتجاج على الغزو مع مناصرة حق الشعب الفلسطينى فى الحصول على الدولة والديمقراطية ورفض بناء المستوطنات، وتمثل القضية الفلسطينية التناقض وقيم الازدواجية الدولية، لأن الحديث عن الديمقراطية وتصديرها إلى الشرق الأوسط، يتجنب إدانة الاحتلال الإسرائيلى المسئول الأول عن تدهور الأحوال فى المنطقة، وارتفاع لغة الإرهاب. إن شارون رئيس وزراء إسرائيل بالسياسة التى يطبقها المحرض الأول على الإرهاب، نتيجة ما يقوم به من نسف للمنازل وتدمير المناطق الفلسطينية وقتل الأطفال والنساء والعدوان المستمر بالطائرات والدبابات على الشعب الفلسطينى.

وقدأشارت الممثلة البريطانية المعروفة فانيسا ردجرين إلى حق الشعب الفلسطينى فى دولة ديمقراطية ووقف بناء المستوطنات. وكان صوتها المعروف بمناصرة الحق. يجد الصدى فى الشارع البريطانى حيث تم إعلاء أعلام فلسطين وصور القتلى والجرحى. ضحايا أعمال شارون وموفاز.

والموضوع الفلسطينى يفضح ازدواج معايير السياسات الغربية. حيث رفض الرئيس جورج بوش إدانة آرييل شارون خلال زيارته للندن. وقد امتدح بوش رئيس الوزراء الإسرائيلى،

ووصفه مرة أخرى بأنه رجل سلام!. وقد أصبح هذا التعبير «نكتة» تثير الضحك والرثاء والبكاء فى الوقت نفسه، إذ إن السياسة الشارونية مسئولة عن تدهور الأحوال، ليس فى المنطقة العربية والشرق الأوسط. وإنما على مستوى العالم لأنها تثير الكراهية وتدفع لليأس والإحباط فى ظل غياب العدل ورؤية الشعب الفلسطينى يذبح، دون احتجاج أو اعتراض من المجتمع الدولى الديمقراطى.

وخرجت إلى شوارع لندن، قوى السلام، ورجال النقابات والطلاب ضد الاحتلال، والغزو للعراق مع مطالبة بالحرية للشعب الفلسطينى وإنهاء جميع مظاهر الاستعمار الإسرائيلى البشع على الأراضى الفلسطينية.

وتفاوض المنظومون للمسيرة خلال أيام مع الشرطة البريطانية للوصول إلى مسارات محددة لعملية التظاهر والاحتجاج على زيارة جورج بوش وتحالفه مع القيادة الأمريكية وتقديم حيثيات لغزو العراق والهيمنة عليه. وعندما ترى هذه المسيرة تشعر بأن القوى الديمقراطية واعية لقضية السلام وحى على حالة يقظة ووعى ترفض التبرير الإعلامى والخطابى الذى كان يتحدث عن تهديد مباشر للأمن البريطانى من خلال أسلحة العراق المستعدة للانطلاق خلال ٤٥ دقيقة فقط.

وقد خرج طلاب الجامعات والمدارس يتظاهرون ضد الزيارة. ونجح المنظومون للمسيرة مع رجال الشرطة فى الوصول إلى اتفاق يضمن مرور المظاهرة أمام مقر رئيس الوزراء وخلال شارع الوزارات. وكانت الشرطة تريد غلق هذا الطريق وفرض القيود أمام البرلمان لمنع المتظاهرين لكن المفاوضات أدت للوصول إلى اتفاق يعبر عن نجاح الديمقراطية وإصرارها على لغة التعبير، وتجسيد الاحتجاج وتم خلال الزيارة الرسمية ترتيب لقاءات مع الرئيس جورج بوش، الذى حرص على تأكيد حق الاختلاف وحرية الرأى والتعبير فى تعميق لغة المجتمعات الأوربية والغربية بالقول بأنه لا خوف من الديمقراطية وإنما تشجيع على ممارسة أصولها. وأكد ذلك رئيس الوزراء البريطانى نفسه تونى بلير الذى تحدث قبل وصول جورج بوش عن حق المختلفين معه فى الرأى وتعبيرهم عن أنفسهم فى ظل ضمانة المجتمع والقانون لهذه الممارسات.

وقد نجح الجميع فى اختيار الديمقراطية واستقبلت الملكة اليزابيث ضيفها الرئيس الأمريكى فى قصر باكنجهام الملكى حيث أقام خلال مدة الزيارة. وأجرى بوش محادثات مع رئيس الوزراء تونى بلير وأقام حفل استقبال بمنزل السفير الأمريكى بمنطقة ريجنت بارك. واستطاع المتظاهرون فى الوقت نفسه تجسيد مواقفهم فى احتجاج عارم شمل قلب العاصمة. وقالت مصادر الشرطة: إن نحو مائة ألف تظاهروا فى مناخ ديمقراطى خلال أطر القانون.

بينما قال المنظمون للمسيرة: إن نحو ٣٠٠ ألف شخص حضروا للعاصمة البريطانية يوم الخميس للاحتجاج على الزيارة وعلى سياسة الرئيس الأمريكى جورج بوش وتحالف تونى بلير معه فى غزو العراق.

وأثارت الزيارة حالة من الحيوية الديمقراطية خلال لغة الاختلاف وتعدد وجهات النظر داخل المجتمع البريطانى نفسه. وتشهد بريطانيا منذ غزو العراق حالة من الحوار والخلاف بشأن طبيعة القرار الذى اتخذه رئيس الوزراء البريطانى للاتجاه إلى الحرب على العراق. وكان بلير تحذر من خطورته على الأمن القومى البريطانى نتيجة وجود أسلحة للدمار الشامل تملكها بغداد ومستعدة للانطلاق خلال ٤٥ دقيقة فقط.

وعبر أعضاء داخل الحزب الحاكم عن اختلافهم مع رئيس الوزراء، وهذا الفريق عارض سياسة بلير مع بوش.

وعكست التظاهرات داخل حزام لندن عن مخاوف القوى الديمقراطية البريطانية من سياسة جورج بوش، واليمين المحافظ الجديد، الذى يطرح سياسات متشددة تستند على ترسانة الأسلحة والجيش الأمريكى القادر على حسم المعارك العسكرية لصالحه. وخلال المسيرة الكبرى وسط لندن ارتفعت لافتات ونداءات تطالب بوقف سياسة جورج بوش والتحذير من تطرف إدارته نحو إشعال العالم بحروب مختلفة، تعكس توجه الإدارة الأمريكية الحالى وسياسة وزارة الدفاع الأمريكية.

وكانت الشرطة البريطانية قد خصصت نحو ١٦ ألف شرطى لتوفير الحماية للرئيس الأمريكى جورج بوش خلال زيارته الرسمية لبريطانيا والتى استمرت ثلاثة أيام، وقد ارتفعت فاتورة الكلفة الأمنية لتصل إلى نحو عشرة ملايين جنيه إسترلينى. وهى تأتى من موازنة سنوية بجهاز الشرطة. وقد أكد نائب المفتش العام للشرطة آندى تروتر، أن الحشد الأمنى اعتمد على قوات إضافية وإلغاء العطلات والاستعانة بحراس الحدائق والقوة الخاصة بالعاصمة البريطانية.

وكانت الشرطة قد اتفقت مع المتظاهرين للسماح لهم بالمرور أمام البرلمان بعد إلغاء فقرة من برنامج الرئيس بوش تتعلق بإلقاء كلمة أمام مجلس العموم.

وطرحت الزيارة التى كانت شاغل المجتمع البريطانى، الحوار مع الديمقراطية وحقوق المواطن ودور الشرطة فى حماية حق التعبير والاختلاف مع الحكومة والسياسات التى تطرحها. وقد خرج الآلاف لتأكيد هذا الحق ورفض هيمنة الحكومة، بعد تحدى إدارة بلير للرأى العام وشن الحرب على العراق.

وأكد النائب جيرمى كوربون الحق فى التظاهر والاعتراض على زيارة الرئيس الأمريكى.

وقال: إن الحكومة اخطأت فى توجيه الدعوة الرسمية وإن الرئيس بوش يواجه معارضة قوية فى بريطانيا بسبب سياسات متطرفة له ودخوله العراق وشن الحرب مع بريطانيا دون موافقة هيئة الأمم المتحدة. وشن كوربون هجومًا قاسيًا على الحكومة وتحالفاتها مع الرئيس جورج بوش، وقد دعت الحكومة الرئيس الأمريكى لزيارة دولة والإقامة فى قصر باكنجهام الملكى فى ضيافة الملكة اليزابيث الثانية. وهذه أول زيارة دولة لرئيس أمريكى منذ أكثر من مائة عام. وقال كوربون، عضو حزب العمال الحاكم: إن الرئيس الأمريكى السابق بيل كلينتون هو الذى ساعد بريطانيا، وكان يستحق هذه الدعوة وليس الرئيس الحالى بوش.

ووجهت وزيرة التنمية الدولية السابقة كلير شورت النقد للحكومة لتحالفها الحالى مع الرئيس الأمريكى وإدارته. واعتبرت الزيارة والدعوة إليها تأكيدًا على موقف رئيس الوزراء تونى بلير وعلاقاته الوثيقة مع إدارة جورج بوش.

ودافع رئيس الوزراء تونى بلير عن الزيارة وما ترمز إليه من علاقات مع الولايات المتحدة والتحالف معها ضد الإرهاب الدولى وساند بلير وزير المالية جوردون براون، الذى امتدح العلاقات الخاصة مع واشنطن ومستوى التبادل التجارى القائم بين الدولتين.

وأقامت الملكة اليزابيث الثانية حفل عشاء بقصر باكنجهام الملكى تكريمًا للرئيس الأمريكى والسيدة عقيلته «لورا» والتقى بوش رئيس الوزراء البريطانى فى محادثات ركزت على طبيعة الموقف فى العراق والخطة الجديدة لتسليم السلطة لحكومة عراقية مؤقتة تجرى انتخابات عامة مع نهاية سنة ٢٠٠٥.

وقد أشادت بريطانيا عبر وزير خارجيتها جاك سترو بخطة نقل السلطة إلى العراقيين مع حلول شهر يونيو المقبل. فى ظل التعديل الأمريكى الأخير لتسريع عملية الاعتماد على حكومة عراقية منتخبة.

يأمل رئيس الوزراء البريطانى أن تحقق نتائج مباحثاته مع بوش مواقف ترضى الرأى العام البريطانى وتعزز قضية الثقة بين البلدين ومستوى العلاقات الخاصة.

وقالت البارونة شيرى وليامز من الحزب الليبرالى الديمقراطى: إن العلاقات الخاصة مع واشنطن تأتى على حساب المصالح البريطانية مع القارة الأوربية والدول الأعضاء فى الاتحاد، وقد انتقد الحزب الليبرالى الزيارة التى رتبتها الحكومة لدعوة الرئيس جورج بوش لزيارة دولة والإقامة فى قصر باكنجهام الملكى.

وأعلن تشارلز كنيدى زعيم الحزب الليبرالى الديمقراطى أنه يعارض موقف الرئيس الأمريكى، لكنه امتنع هذه المرة عن مشاركة التظاهرين بينما برز خلال المسيرة شخصيات من أعضاء الحزب الليبرالى، أصحاب الموقف المعروف فى معارضة الحرب والتدخل فى الشأن

العراقى وفرض الزخم الديمقراطى نفسه على برامج الزيارة التى تم تعديلها بما يسمح للمتظاهرين بالتعبير عن أنفسهم وترك الرئيس يقوم بالاتصالات السياسية المختلفة. لكن الصورة كانت فى صالح التظاهرة التى حاصرت الزيارة من مختلف الجوانب.

وقد رفعت الأجهزة الأمنية خلال الزيارة من درجات الاستعداد فى ظل تقارير كانت تتحدث عن نشاط إرهابى متوقع من تنظيم «القاعدة» وقد طبقت الشرطة إجراءات أمنية صارمة فى أكبر عملية شهدتها بريطانيا فى التاريخ المعاصر.

وقد تم منع المتظاهرين من الاقتراب من القصر الملكى حيث أقام الرئيس الأمريكى خلال مدة زيارته. وتم فرض احتياطات أمنية حول المكان ومنع المرور بالكامل خلال فترة الزيارة.

وقبل وصول الرئيس الأمريكى جورج بوش تمكنت ناشطة من أجل السلام عمرها ٦١ عامًا من تسلق أبواب القصر الملكى ورفع لافتة تندد بزيارة الرئيس الأمريكى وأخذت الحكومة موقفًا قويًا ضد المعارضين من داخل الحزب الحاكم وشخصيات تعترض على توقيت الزيارة. وأشار زعيم حزب المحافظين الجدد مايكل هوارد إلى أهمية الزيارة التى قام بها الرئيس الأمريكى لتقوية العلاقات مع واشنطن. لكنه كان قد طالب بطرح القضايا التى تهم الجانب البريطانى ومناقشتها بصراحة مع الرئيس الأمريكى خلال زيارته. ويشكو البريطانيون من أن إدارة بوش استغلت الصداقة البريطانية والتحالف لصالحها. وأن الزيارة ستساعد الرئيس الأمريكى الذى يستعد لدخول الانتخابات العامة فى بلاده.

وفجرت الزيارة أسئلة حول العلاقات الخاصة مع واشنطن والثمن الذى تدفعه بريطانيا من تحالفها مع إدارة بوش. وهناك احتجاج على سياسة واشنطن الخارجية واشارت إلى ذلك كلير شورت الوزيرة السابقة فى حكومة بلير التى تحدثت عن القضية الفلسطينية ومساندة الإدارة الأمريكية لرئيس الوزراء الإسرائيلى آرييل شارون.

بريطانيا تفتح الطريق أمام الأقليات

حزب العمال الحاكم فى بريطانيا فتح الطريق لأول مرة لتعزيز وجود الأقليات العرقية فى مجلس العموم واللوردات بإتاحة الفرصة أمام شخصيات من جذور عرقية إفريقية وكاريبية لدخول مجلس الوزراء وحمل حقائب وزارية فى التشكيل الذى أعلن عنه رئيس الوزراء تونى بلير عقب استقالة وزير النقل السابق ستيفن بايرز وإجراء الحكومة لتعديلات فى المواقع الوزارية على قمة التشكيل الجديد الذى يفتح الطريق أمام بريطانيا جديدة.

وقد جاء حزب العمال إلى السلطة فى مايو عام ١٩٩٧ بتعديلات دستورية مهمة بهدف الإصلاح والتغيير والتعامل مع الواقع السياسى للبلاد، وقد منح هذا الاتجاه اسكتلندا برلمانيا الجديد الذى تشكل بالانتخاب فى العاصمة أدنبره، وكانت الحكومة قد أعطت الضوء أمام انتخابات فى ويلز لتشكيل المجلس النيابى المنتخب لتجسيد مرحلة جديدة من العمل والديمقراطية الداخلية.

وتعترف هذه المتغيرات بالمطالب القومية فى اسكتلندا وويلز، ووجود ثقافة مختلفة وسعى وراء بلورة الشخصيات القومية فى إطار التحالف السياسى القائم تحت هيمنة البرلمان فى وستمنستر.

والشكل الإصلاحى يترجم لغة مختلفة للاعتراف بالاحتياجات الديمقراطية لقوميات تندرج تحت العلم البريطانى وتتطلع للتعبير عن ذاتها القومية فى الإطار الاتحادى، وخطا رئيس الوزراء البريطانى خطوة أخرى فى نطاق الحل السياسى لأزمة أيرلندا الشمالية بدعوة الناخبين لتكوين المجلس المنتخب الذى يمثل الأحزاب المختلفة، ومازالت التجربة تتفاعل لطرح الحل السياسى بدلاً من الحل العسكرى والعمليات العسكرية.

وتترجم إدارة العمال تطلع بريطانيا نحو القرن والفكر الجديدين والاعتراف بحق المجموعات القومية والعرقية للتعبير عن نفسها. وقد دخلت لندن فى إطار الإصلاح الديمقراطى مع إعطاء فرصة الانتخاب لعمدة منتخب يمثل العاصمة وطموحها المالى وتطلعها إلى إدارة مركبة تعتمد على الانتخاب الحر والمباشر فى خطوة مميزة للغاية.

وإذا كانت رياح الإصلاح هبت على بريطانيا من قلبها ونظامها الداخلى، فإن الحكومة العمالية تتجه نحو الأقليات فى إطار التعدد الثقافى والاعتراف بوجود ديانات مختلفة وثقافات يسمح لها المجتمع بالتعبير عن نفسها فى إطار الحل البرلمانى القائم فى البلاد.

وشهدت الفترة الأخيرة قدرة المجموعات العربية فى التعبير عن مواقفها، سواء فى قلب ساحات التعبير البرلمانى فى قاعات جانبية للبرلمان أو خلال تظاهرات الشوارع والميادين. وسمح الأمن البريطانى لهذه القوى بالعمل والتظاهر والتعبير بلا تدخل على الإطلاق.

وإدراك الوجود العربى فى بريطانيا أهمية التمثيل القوى فى الأحزاب والبرلمان والهيئات المختلفة وعبر الحكومات المحلية والبلديات، والمؤكد أن الوعى العربى استفاد للغاية من تحركات أخيرة لمناصرة الشعب الفلسطينى وقدرة الحوار والاشتباك مع الأحزاب السياسية والمجموعات الحزبية ولجان العمل الأهلى الشعبى، وتدعو أصوات فى الجالية العربية للعمل للتأثير فى الحياة السياسية والحزبية، عبر الاندماج والعمل والنشاط بحيث يمكن التعبير عن الصوت العربى والقضايا المرتبطة به.

وقد تحقق للجالية المسلمة والمجموعات الآسيوية الإسلامية هذا الإنجاز عبر نجاح شخصيات فى مجلس العموم البريطانى وقدرة هذه المجموعة للتأثير على مسار الحزب الحاكم لاختيار شخصيات مسلمة آسيوية فى مجلس اللوردات، وكان للوجود الإسلامى فى الحياة البرلمانية التأثير على مجرى التشريعات واهتمام بحياة المسلمين وحماية حقوقهم والانتباه إلى قضاياهم والعمل معهم من أجل وقف الزحف العنصرى الذى حاول استثمار أحداث الحادى عشر من سبتمبر للهجوم على المسلمين والإسلام.

وقد سعت هذه المجموعات بعدما جرى فى الولايات لشن حملة ضد الإسلام فى بريطانيا وكان رئيس الوزراء البريطانى تونى بلير وأعضاء حكومته من الوعى والانتباه فى العمل بحملة مضادة هدفها نفى أهداف الحملة المضادة والتركيز على حقوق المواطنة وتبنى الإسلام ضمن إطار التعدد الثقافى والدينى والعرقى فى بريطانيا.

وقد أشار وزير الدولة البريطانى الجديد مايكل أوبراين إلى هذه المعادلة فى انتشار المساجد الإسلامية وحجم الجالية المسلمة الذى يصل إلى مليونى شخص، وعمل الحكومة والمجتمع معًا على تأصيل الحوار المشترك وتعزيز سبل التفاهم.

واختيار الحكومة أعضاء مسلمين فى مجلس اللوردات ووجود بارونة مسلمة. يضع السؤال حول اختيار شخصيات عربية فى مقعد مجلس اللوردات ودور الجالية بدفع مرشح لها إلى مجلس العموم.

ونتيجة تعدد الدول العربية قد ترى الحكومة أزمة فى الاختيار لكن هناك شخصيات عربية تعبر بعملها وجيدها عن الجالية كلها فى نشاط لا يقف عند هذا القطر أو ذاك.

وقد دعا سفير فلسطين لدى بريطانيا عفيف صافية العرب إلى النشاط والعمل داخل الأحزاب والحياة البريطانية لتأكيد المصالح العربية والتعبير عنها، وقد أدركت الجالية نتيجة

الأحداث الأخيرة أهمية هذا التمثيل فى مجلس البرلمان والحكومات المحلية والبلديات والجالية الآسيوية استفادت من إطار الديمقراطية، فمتى يستفيد العرب من هذه الحقوق؟!

وتضغط شخصيات إسلامية لزيادة عدد الأعضاء فى مجلس اللوردات وتمثيل المسلمين بعدد أكبر فى مجلس العموم. وكان محمد سروار هو العضو المسلم الوحيد فى البرلمان البريطانى. وجاء إليه برلمانى آخر، ويرى د. عزيز باشا أن هناك أهمية بالغة لتوسيع رقعة التمثيل البرلمانى الإسلامى لعكس قيم الإسلام ومصالح الجالية وتقديم التشريعات المطلوبة فى هذا الاتجاه.

وبريطانيا الديمقراطية تقبل الضغط عبر مجموعات المصالح، وطموح رؤية شخصية عربية فى مجلس اللوردات قضية مهمة تنتبه لها الجالية العربية هذه الأيام.

وتجهيز حملة انتخابات عربية فى اقتراع مجلس العموم بعد ثلاث سنوات هو رغبة بعض الناشطين العرب.

وقد تم طرح قضية لاختيار عربى فى مجلس اللوردات أمام رئيس الوزراء البريطانى أكثر من مرة، وأكدت خبرة الحملة للتضامن مع الشعب الفلسطينى أهمية مساهمة جالية عربية يصل عددها إلى ٤٠٠ ألف شخص ويقترب من نصف مليون مع أصول الحياة الديمقراطية البريطانية التى تفتح أبوابها أمام وجود الأقليات ومطالبهم وتمثيلهم الديمقراطى فى قاعات البرلمان والمجالس المحلية.

رحلة فى التاريخ البريطانى
بحثًا عن فلسفة التاريخ

تقف مدينة كلوشستر شاهدة على تاريخ بريطانى طويل يبدأ منذ ألفى عام حيث تحتل المدينة الرقم الأقدم بين مدن بريطانيا الأخرى فهى الأولى قبل لندن وكانت عاصمة قديمة للقبائل المنتشرة فى ذلك الزمن.

والترحال فى المدن البريطانية هو لقاء مع التاريخ، إذ وعت هذه الأمة مبكرًا الحفاظ على أوراق الزمن والاحتفاظ بها فى الذاكرة وعدم تبذيرها مهما كانت الظروف. والتجول فى مقاطعة «سافوك» البريطانية يبحر فى التاريخ القديم والوسيط معًا. ويتأمل تراكم خبرات وحرص الجميع على حماية التاريخ من الاندثار حتى الحلقات السلبية عندما كانت بريطانيا محتلة بالقوات الرومانية التى زحفت إليها منذ التاريخ القديم. فقد أرادت الإمبراطورية توسيع أملاكها فاتجهت نحو إنجلترا وأسست أول مستعمرة رومانية على أرض كلوشستر.

ويحتفظ البريطانيون بالقلعة الرومانية القديمة التى كانت شاهدة على الاحتلال للمدينة ووجود حامية قوية أسست لنفسها هذا الكيان ونقلت مظاهر الحضارة الرومانية إلى الضفاف البريطانية.

وتضم هذه القلعة التى تقاوم رياح الزمن الآثار الرومانية التى خلفها الغزاة والذين استقروا لفترة طويلة فوق هذه الأرض.

والتجول داخل القلعة الرومانية يقف على أسرار حضارة الإنسان. فينما امتدت حضارة عريقة انتشرت فوق أرض الكون معززة بالقوة والنفوذ.

وقد نقل الرومانيون آثار حضارتهم إلى الوادى البريطانى. وانتعشت فوقه نماذج العمارة وأنماط الحياة المختلفة من رياضة إلى صناعة إلى أدوات الطبخ فى المنازل.

وأعاد هذا المتحف الموجود داخل القلعة بناء الحياة الرومانية بكل ما تحفل به من أنماط وسلوك وعادات فى الملبس والطعام وزينة النساء.

ويبدو فى أروقة القلعة هذا التأثير المصرى القديم على نمط الحياة الرومانية. فروما احتلت مصر التى أصبحت محمية رومانية غير أن نهج الحياة المصرية احتل ثقافة الرومان. وتبين وثائق هذه القلعة كيف كان يحاكى الرومان أساليب الحياة المصرية القديمة.

تبادل حضارى:

والتجول فى هذه القلعة يكشف عمليات التبادل الحضارى، وأن الاحتلال العسكرى لا ينهى دائمًا شخصية الأمة. ولعل هذا يتضح فى فلسطين المحتلة، فعلى الرغم من قيام الاستيطان الإسرائيلى بإلغاء شخصية الوطن الفلسطينى، إلا أن النزوح اليهودى نحو فلسطين لم يمح ثقافة الشعب الفلسطينى التى تحولت إلى أداة للمقاومة عبر الزى الوطنى وأصناف الطعام والموسيقى والأغانى الشعبية.

وداخل القلعة الرومانية يقف السجل التاريخى والإنسانى لبريطانيا التى احتلت أرضها تتباهى فى نفسها بالمقاومة. وهناك لوحة كبيرة عن أعمال المقاومة البريطانية ضد الاحتلال عندما ثارت قبيلة ضد ممارسات المحتل الرومانى.

ويريد المؤرخ أن يقول عن المقاومة التى وقفت ضد الاحتلال الرومانى حيث أجبرته فى النهاية على تفكيك المستعمرة الرومانية. وقد شهدت خشبة المسرح التاريخى انسحاب روما من بريطانيا بعد تحولات داخل الإمبراطورية ذاتها وبدء ضعفها الشديد.

وقد تحولت مدينة كلوشستر إلى مناطق جذب لشكل العمارة الهولندية القديمة الذى أصبح سائدًا فى جميع مناطق «سافوك» والقرى الريفية.

وشهدت المدينة تحولات العصر الوسيط وهناك الوثائق الموجودة على هذا التاريخ القديم، وعندما جاء العصر الفيكتورى بدأت عمليات نهضة صناعية وتركت المدينة تاريخها القديم وانغمست فى بناء المصانع وقاعات التصنيع الضخمة.

وفى عصر الركود عادت المدينة إلى النسيان، غير أنها تأتى فى عالم السياحة، وبحث أصحاب حضارات أخرى عن الهاجس القديم فيتدفق الأمريكيون واليابانيون على المدينة لقراءة أسرارها القديمة والتجول فى الحصن الرومانى ومشاهدة الآثار الضخمة التى تركها الرومانيون على هذه الأرض.

وتبدو السياحة المنقذ للتاريخ من غبار النسيان، فهناك حالة من العبث القديم حيث إن السائح الأمريكى واليابانى يبحث عن عمق الجذور والارتباط بنا ومعرفة خبايا العصور المختلفة وكيف عاشت مدن صغيرة أزمة الإعصار التاريخى على مر أحقاب الحياة.

وإذا كانت كلوشستر تحوى دفاتر التاريخ الرومانى القديم على الأرض البريطانية فإن قرية صغيرة تسمى «لافنهام» تحوى أوراق الحياة منذ ٥٠٠ عام ومازالت تقف فى بؤرة الاهتمام التاريخى تعطى أسرارها وتفتح منازلها لزوار يأتون من أنحاء العالم لمعرفة سر بقاء هذه المنازل الخشبية المبنية من الطين وقدرتها على البقاء أمام العواصف.

ولافنهام تم تشييدها ما بين ١٤٥٠ - ١٥٠٠ حتى قامت على أكتاف العصر الوسيط

والاهتمام بالزراعة والتركيز على صناعة الصوف.

وتجمع فى هذه القرية أهل صناعة الصوف والمغازل البدائية التى غمرت المكائن وحققت طفرة اقتصادية هائلة جعلت «لافنهام» تصبح جوهرة فى التاج البريطانى بسبب شهرتها الاقتصادية آنذاك.

وقد بدأ الأثرياء يقيمون منازل القرية على الطراز الهولندى الذى انتشر فى الريف والمدن البريطانية وأصبحت هذه البيوت تعبر عن الثراء والنفوذ.

ومن أشهر المنازل «ليتل هاوس» الذى يعود عمره إلى أكثر من ٥٠٠ عام. وهذا الزمن الممتد يحكى قصة القرية التى تحولت إلى منطقة جذب لسياح العالم أجمع.

ويقف «ليتل هاوس» يحكى قصة شيقة لتتابع الملاك من أثرياء ورجال زراعة وصناعة.

وعندما انتهت صناعة الأصواف فى «لافنهام» دخلت القرية مرحلة الكساد وأصبحت مهجورة وعانت منازلها المثيرة من الإهمال حتى بداية القرن عندما بدأت الطبقة المتوسطة الصاعدة تهتم مرة أخرى بالتاريخ القديم.

وهناك حكاية تربط لافنهام بالشرق ورياح ثقافته فقد جاء إلى القرية جنرال بريطانى خدم فى جيش الاحتلال الذى عاش فى مصر حوالى ٧٠ سنة.

وكان جابر أندرسون يعيش فى القاهرة وهناك شاهد الآثار المصرية القديمة وتعرف على آثار مصر الإسلامية.

وأصبح أندرسون مغرمًا بالشرق حتى أنه تولى إدارة المتحف الصغير الذى كان بجوار مسجد ابن طولون بحى السيدة زينب بمصر، وقد أصبح هذا المتحف يحمل اسم الجنرال البريطانى جابر أندرسون الذى منحه الملك فاروق لقب الباشوية.

وقد جاء أندرسون مع شقيقه إلى لافنهام حاملاً تاريخه فى علم الشرق ومصر. وقرر شراء عدة منازل قديمة وإعادة تجديدها وبدء إنارة القرية بالفن الإسلامى ونماذج من حضارته العظيمة.

وتحول «ليتل هاوس» إلى منزل للجنرال جابر أندرسون وشقيقه التوءم وقبل رحيلهما معًا فى الستينيات أوصى بتحويل المنزل إلى متحف.

ومن يدخل المنزل يرى الهاجس الإسلامى والمصرى معلقًا فى فضاء لافنهام فهناك آيات قرآنية معلقة بسقف المنزل ومنقوشة على الجدران. وهناك أيضًا بعض القطع الإسلامية بجوار مئات الكتب عن حضارة الإسلام والشرق.

لقد قرر أندرسون التفرغ لمهنة البحث والتدقيق التاريخى وخلع ثياب الجنرال منذ فترة طويلة وأصبح عاكفًا على قراءة تاريخ مصر والشرق معًا.

وحكاية أندرسون مثيرة للتأمل، فقد ذهب إلى الشرق غازيًا ومحتلا وعاد منه وهو مبهور بالحضارات التى قامت على هذه الأرض الشرقية.

إن المحتل خرج وهو محتل من قبل ثقافة جاء لغزوها وطمس معالمها، لكنها فى النهاية تغلبت عليه.

وعندما جاء أندرسون وشقيقته إلى لافتنهام حمل معه تراث الشرق الذى يحتفظ بالتاريخ ويجمله ويضعه فى مكانه الصحيح. ومن يزور «ليتل هاوس» يدرك هذه الإشارة وحكاية أندرسون علامة على نفوذ الحضارات وقوتها وأنه من السهل احتلال شعب، لكن من الصعب إزالة ثقافة لأنها تبقى دائمًا ولديها النفوذ والقدرة على الاستمرار.

ويقول القائمون على متحف أندرسون بالقرية البريطانية: إن هناك اتصالات مع المتحف القائم والذى يحمل اسم الجنرال البريطانى بجوار مسجد ابن طولون بحى السيدة زينب.

ويحتفظ أندرسون بالشهادة الموقعة من ملك مصر السابق فاروق الذى يمنحه درجة الباشوية بسبب إخلاصه لمصر وحبه لها واهتمامه بالآثار الإسلامية والمصرية القديمة.

وإذا كانت بريطانيا تحتفظ بوثائق الاحتلال الرومانى فإنها هى ذاتها أصبحت قوة احتلال أيام انتشار الإمبراطورية غير أن هناك قصصًا عديدة مثل حكاية أندرسون الذى ذهب مع جيوش الاحتلال إلى القاهرة وعاد يحمل تراث الشرق إلى بريطانيا، وأصبح له متحف فى القاهرة يحمل اسمه بينما منزل لافتنهام يضم بعض القطع الإسلامية وصورًا لآثار مصرية وشهادة مكتوبة بالعربية تحمل توقيع ملك مصر السابق فاروق مع توقيع رئيس الديوان أحمد حسنين.

عبد الواحد الوكيل يتحدث
عن نظرية العمارة الإنسانية

افتتح المكتب الثقافى المصرى موسم المحاضرات والندوات والنشاط الفكرى والفنى بلقاء متميز مع المعمارى البارز د. عبد الواحد الوكيل الذى يقود ويطبق نظرية العمارة الإنسانية، بالعناق مع ظروف البيئة والصفات الوراثية فى عمق القيم والبناء الحضارى والوظيفة التى تعتمد على إثراء البعد الإنسانى، باعتباره جوهر التقدم ورسالة الحياة.

وكانت محاضرة المعمارى المصرى ممتعة للغاية فى حجم المعلومات والإشارات الثقافية للحضارة والاعتماد على إرث مصرى يقرأ كتاب النيل وتراكم الخبرة الإنسانية والحضارية وطاف المحاضر ببراعة شديدة بأوراق ملف نظريات العمارة التى تاهت كثيرًا فى أروقة الحداثة الأسمنتية، بدعوى المعاصرة والتحديث، وعادت بفضل مجموعة من المعماريين إلى التقاليد مرة أخرى لتغليب الصفة البشرية على هياكل التصميمات التى لا تحترم حقوق الإنسان، ولا تضع حاجاته الروحية إلى جدول أعمالها.

ومن الأهمية لفت النظر إلى الإضافة المصرية البارزة التى حملت شعلة «العودة إلى الضمير المعمارى»، ونبذ النظريات الضارة التى جاءت مع التغريغ فى الدول الصناعية والعمل لوجود المسكن لقطاعات كبيرة من البشر تدفقت على المدن الأوربية والأمريكية، وكان الحل فى نمط معمارى برز بعد الحرب العالمية الثانية واعتمد على الاتساع الأفقى والرأسى فى زنازين الأسمنت التى انتشرت وكونت شكل العمارة الحديثة والجديدة.

وترتب على سيادة نظريات البناء الأسمنتى السريع بروز ظاهرة العمارة المشوهة الخالية من الجمال والإتقان، وتخنق الروح الإنسانية بداخلها وابتدع المعمارى المصرى الراحل المهندس حسن فتحى نظرية العمارة الجديدة التى تعود للأصول، وتعتمد على المواد البيئية فى البناء والتشييد، وأطلق فتحى على نظريته عمارة الفقراء فى بناء القرى المصرية الحديثة اعتماداً على شكل التصميم الذى يستلهم التراث المصرى كل تنويعات الشكل الفرعونى. ثم الإضافات التى جاءت إلى وادى النيل، حتى الحقبة الإسلامية البارزة.

ونهج عمارة فتحى إنسانى غير مكلف وقد ترك هذا الإرث الذى ألهم معماريين عالميين منهم الوكيل نفسه الذى تربى فى حضن نظريات الأب المؤسس لهذا النوع من المنازل التى تحتضن الإبداع الإنسانى وتوفر مساحة مفتوحة أمام البشر للنفس والإبداع.

وقد أخذ الوكيل نظريات فتحى الأساسية وتطورها فى أبعاد جمالية بارزة، تعتمد على الإنشاء المعمارى بهذا الجمال والروعة فى حوار بديع مع قيم البيئة والتراث والحاجات الإنسانية ويمكن القول: إن عمارة الفقراء لدى المهندس المصرى الراحل تحولت إلى عمارة الأثرياء فى شكل التصميم والإبداع والزخرفة الجمالية المبهرة وخلال زيارته للسعوديةاطلعت على نهج عمارة الوكيل الذى دخل منطقة جديدة فى بناء القصور الفخمة اعتمادًا على إرث العمارة المملوكية والإسلامية فى عصور مختلفة وتشهدمدينة «جدة» السعودية عدة نماذج من بناء المساجد بطريقة بالغة الإتقان مع البساطة المدهشة التى تترجم نظرية العمارة الإسلامية فى أعلى درجاتها، وأنها تفتح الأفق والمساحات أمام المصلين والمتعبدين فى بيوت الله. وقد أدهشنى النمط المعمارى المتميز للمعمارى د. الوكيل الذى حمل نظريات وطورها ودخل بها عصرًا بديعًا فى الإنشاء والتمتع بجمال الفن المعمارى الذى يطلق الروح ويحرر الخيال ويمزج بين ألوان الإبداع المختلفة.

وعرض الوكيل خلال محاضرته النماذج التى أقامهافى تيار العمارة الإنسانية ،وقد أصبح لتأثيره مساحات كبيرة على المسرح العالمى ووجود تأثيرات كاملة تنمو فى إطار عمارة جديدة تطرد الأخرى التى سادت باسم الحداثة وخنقت الروح، وقد عبر ولى العهد البريطانى الأمير تشارلز دائمًا عن كراهية عمارة الخنادق والزنازين الأسمنتية التى تم تشييدها خلال حقبة الستينيات فى لندن ويمتد إلى العهد البريطانى القراءة فى كتاب الحضارة الإنسانية وهو يقف عند نمط عمارة الإسلام بشكل بارز يعبر عن الإعجاب فى بناء المساجد والمنازل والمنشآت العامة، وكان جميلاً سماع الوكيل يتحدث عن النظرية بأعمال تطبيقية بارزة تمثل لوحات كاملة فى البناء المعمارى الجميل، الذى يشكل وحدة واحدة قائمة بذاتها تقدم جميع الوظائف والاحتياجات داخل نمط حضارى تظلله القيم والعادات والتقاليد.

وقد انبهرت بشكل المحاكاة الفنية البديعة لنماذج الفن الإسلامى وأعاد المصمم بناء عمارته التقليدية الحديثة استناداً لتراءات وتأثيرات بالغة من تراكم الأشكال الحضارية على أرض مصر، ويمثل الوطن المستودع الحقيقى لإبداع الإنسان خلال قرون من الزمن وكانت العمارة الإسلامية فى مصر بالذات استفادت من التراكم التراثى والتاريخى. وقد تميزت البيئة المصرية بنمو نظم معمارية خلال أحقاب طويلة من نمو الحياة وتطورها وازدهار الطبقات الوسطى التى حنت للتاريخ وللهوية فأعادت شكل العمارة الإسلامية فى نسق البناء والمشربيات والزخرفة البديعة.

وسع نهضة مصر فى بداية القرن الماضى عاد المعماريون إلى أشكال البناء الذى ازدهر فى العصور الوسطى وتقليد طرز قصور المماليك والأسر الحاكمة فى عهد ولاية محمد على

وعندما جاء المهندسون الفرنسيون تأثروا بهذا الإرث المتميز، وظهرت فى أشكال عمارة الطبقات الجديدة فى منطقة الزمالك وجاردن سيتى التأثيرات الإسلامية تأكيدًا لفكرة الهوية المعمارية والحضارية، وعمل حسن فتحى خلال حياته على أحياء نمط العمارة الريفية واستخدام الطمى فى البناء وتصميم القباب المتميزة فى نسق عمارة الفقراء الذى طوره د.. الوكيل فى نموذج العمارة الجديدة بالبعد الإنسانى الخاص والإضافات الجمالية.

وتحدث الوكيل عن أثر المهندس حسن فتحى، والوثبة التى صنعها بالعودة إلى تقاليد معمارية وأسلحة فى البيئة المصرية وأشار إلى المراحل المختلفة فى جهود العمارة الإنسانية وحل قضية البناء فى دول العالم الثالث وتقديم الحلول فى إطار من العمل والاجتهاد، وأعطت المحاضرة اللقاء مع مثقف مصرى بهذا العطاء المتميز فى جانب الإضافات المعمارية والنظريات المتعلقة بها وكان اختيار الوكيل لافتتاح موسم المكتب الثقافى المصرى إشارة مهمة إلى دور شخصيات مصرية فى العطاء الحضارى وبناء الجسور مع فكر إنسانى يحاول بكل جهده حل القضايا المتعلقة بالنمو والبيئة فى إطار من الفهم والرؤية الحضارية، ودشنت محاضرة المعمارى المصرى طبيعة الموسم الثقافى المصرى فى العاصمة البريطانية، حيث تتجمع الأضواء الفكرية والفنية فى هذا المقر الذى يحمل اسم مصر ويعلق رايتها ويؤكد النشاط على رؤية واضحة تضع النشاط المصرى فى قلب الحدث البريطانى، وفى داخل المكتب يتم استعراض نشاط مصر التاريخى والحضارى عبر حلقات الماضى واتساع دائرة الحاضر بكل أوراق بعث النهضة والعناق معها.

وكانت محاضرة الافتتاح للموسم الثقافى المصرى تظاهرة للعلم والحضارة والدور الدبلوماسى والثقافى لمصر فى العاصمة البريطانية.

شهد المحاضرة مجموعة كبيرة من رجال الفكر وعلماء الآثار والشخصيات الثقافية البارزة. وحضرت د. أهداف سويف الروائية المصرية المعروفة والتى تكتب بالإنجليزية روايات تحمل أجواء مصر سواء فى عمق التاريخ أو قلب العالم الحاضر وجاء إلى المحاضرة الافتتاحية للموسم الثقافى المصرى مجموعة كبيرة من البريطانيين المحبين لتاريخ مصر والمتابعين لتيارات المحاضرة على أرضها.

ودائمًا فى المكتب الثقافى المصرى تلمح وجه مصر الأصيل فى اللقاء والترحيب بالضيوف والحوار معهم حول قضايا العلوم والتاريخ وملفات الفن والأدب، وجاءت مجموعة كبيرة من المهتمين بنبض مصر الذى يلمع دائمًا فى صفحات الذاكرة البشرية والامتداد فى نهر الواقع بهذا الإرث العظيم.

بلير على ضفاف شرم الشيخ

اختار رئيس الوزراء البريطانى تونى بلير قضاء عطلة نهاية العام للمرة الثانية فى مصر على ضفاف شواطئ شرم الشيخ جنوب محافظة سيناء، وهذا الاختيار من رئيس الوزراء البريطانى وعائلته سببه حالة الاستقرار العام التى تشهدها مصر، والشعور بالأمان، وقد شاهدت تونى بلير وعائلته فى شرم الشيخ يتناول العشاء فى مطعم اختاره بنفسه وحضر تقريبًا من دون حراسة..

واختار التجوال فى منطقة خليج نعمة التى تعد مركز جنوب سيناء بالمطاعم المنشرة ومراكز الترفيه المختلفة والتى تجعل هذه المساحة مثل المناطق العالمية فى مونت كارلو بجمالها ونظافتها والنظم المعمارية التى جرى تشييد الفنادق على نهجها.

وقد تأملت خلال رحلة إلى شرم الشيخ هذا الحجم الهائل من البناء والانتشار الذى تحقق فى أقل من عشرين عامًا وزحف العمران نحو الصحراء بما يشبه معجزة مصرية تمت فوق رمال سيناء بهذه الجرأة الاقتصادية وعقلية متطورة للغاية فى البناء والتصميم وإتاحة الفرصة أمام آلاف الشبان للعمل فى هذه المنطقة الجديدة.

وقد جاء بلير إلى جنوب سيناء مرة أخرى ترافقه عملية دعائية مجانية لمصر ومشروعاتها السياحية وغطت صور رحلته إلى مصر جميع الصحف البريطانية مع اهتمام المحطات العالمية التلفزيونية بهذه الزيارة واختياره لشرم الشيخ لقضاء عطلة نهاية العام فى هذه البقعة الساحرة من أرض مصر.

وزيارة شرم الشيخ تعطى ثقة فى أداء مشروع التنمية المصرى. لقد استطاع المصريون فى فترة زمنية قصيرة للغاية تحقيق هذا الوجود بتلك الدرجة من الإتقان البالغ والروعة المعمارية فى بناء الفنادق بأسلوب معمارى حديث للغاية يزاوج بين التراث المعمارى المصرى ونهضة المعمار العربى فى الأندلس.

وتزدحم شرم الشيخ بالسياحة القادمة من أوربا وبلاد الشمال الباردة، وعندما يأتى السائح الغربى إلى هذه البقعة الرائعة يجد الشمس الساطعة ودرجة الحرارة الساخنة والمياه النظيفة المبهرة للبحر الأحمر على شواطئ جنوب سيناء.

وتملك هذه المنطقة السحر البالغ وجاذبية تأسر كل من يزورها للمرة الأولى.. وقد انجذب بلير وعائلته إلى شرم الشيخ وجاء إليها مرة أخرى تحوطه الدعاية الكبيرة واهتمام الصحف

العالمية ومحطات التلفزيون والفضائيات بجمال هذه البقعة وأسرارها وتاريخها.

ويهتم البريطانيون بالسفر إلى شرم الشيخ خصوصًا فى الشتاء حيث الشمس والهواء والجمال النادر بهذه الخصوصية الرائعة التى تجمع الصحراء مع مياه البحر الأحمر، وتضم الجبال مع المحميات الطبيعية الشديدة الجمال والتأثير البالغ على كل من يزور هذه البقعة ويرى الأمان الكامل والحياة الهادئة المستقرة بلا إزعاج أو جرائم.

وتعد المنطقة الجديدة الممتدة بالقرب من (رأس محمد) المدينة الفاضلة كما تخيلها الفلاسفة بهذا الجمال وسحر الطبيعة وتألق المناخ، وقد اختار المصمم المعمارى المصرى عدم إزعاج الطبيعة وشيد الفنادق الجميلة بطريقة انسيابية تفتح النوافذ على شاطئ البحر فى حوار بين المعمار والطبيعة، فى تداخل جميل وبسيط يعكس أفكارًا غاية فى التطور الجمالى، والعلاقة مع الطبيعة بمفهوم إنسانى جميل وفى منتهى العذوبة. وعندما تذهب إلى جنوب سيناء تقع فى غرام الطبيعة، وتحترم المصمم المصرى بأسلوب هندسة جميلة تعانق الجمال وتحتفى به وتعطى للإنسان فرصة اللقاء السخى ومشاهدة جميع مظاهر الطبيعة من شروق الشمس إلى لحظة الغروب وتألق النجوم فى سماء صافية، ونسيم بديع يهب على شواطئ سيناء. وقد شاهدت تحفة معمارية على هيئة (أخطبوط بحرى) تعبر عن تصميم رائع فى حوار الهندسة مع الطبيعة ومياه البحر الأحمر.

وخلال تجوالى فى أجواء الطبيعة وهندسة المعمار والتألف الجميل بين عدة طرز معمارية كنت أشعر بالإعجاب الشديد فى النظر إلى مصر الجديدة بعنفوان التجربة وقوة التصميم على البناء والحوار مع العصر من خلال تجربة التنمية الجريئة التى أفرزت شرم الشيخ وجنوب سيناء بهذا الإبداع.

وكل من يزور هذه المنطقة يقع فى الإعجاب بها لأنها تمثل هذا الاكتشاف البديع لجمال نائم على صدر شواطئ مصر المطلة على البحر الأحمر ويبدو المصريون فى حالة غرام مع سيناء كلها بعد استرداد السيادة عليها لذلك تشكل علم البناء والتمدد الحضارى.

وزيارة هذا الموقع تعطى ثقة شديدة فى التخطيط والبناء والإدارة الاقتصادية والسماح لخبرات مصرية بالتعبير عن نفسها من خلال الانفتاح نحو الحوار الشديد الخصوبة مع العصر.

وكان تونى بلير خلال إقامته فى شرم الشيخ سعيدًا بهذا الجو الساحر والشمس الساطعة خصوصًا أن لندن كانت تعانى موجة برودة حادة وأمطارًا شديدة.. وتعطى جنوب سيناء نافذة على الدفء ورؤية جمال الطبيعة والتحرك بحرية شديدة مع وجود هذا الأمان المنتشر فى كل مكان.

وهناك إجماع على جمال شرم الشيخ، وتعطى سيناء بسخاء شديد وكأن الطبيعة تعوض المصريين عن سنوات طويلة من غياب هذه البقعة العزيزة فى أسر الاحتلال ودنسه.

ويختار البريطانيون تقليد رئيس الوزراء تونى بلير بالذهاب إلى شرم الشيخ مع نهاية العام واستقبال السنة الجديدة، وما أجمل أن يستقبل الإنسان أول إشراقة لشمس العام الجديد وهو فى جنوب سيناء وفى شرم الشيخ، إنها لحظة فريدة تعانق الحس الوطنى والشعور بجمال وانفراد بهذه الميزة البالغة السخاء من الطبيعة.

لقد منح الله أرض مصر هذا التعدد والتنوع فى شكل الطبيعة من الشمال إلى الجنوب.. وهذه الميزة هى شكل الحياة المصرية التى يتجمع فى قلبها الجميع.

والمصريون فى بريطانيا انتبهوا لجمال شرم الشيخ والخصوصية الرائعة لهذا المنتجع الجميل ورحلة إلى هذه البقعة النادرة تغسل الهموم وتزيل المشاكل وتطرد الأحزان دفعة واحدة.

وقد اختار بلير شرم الشيخ لبدء عام جديد مع شمس مصر الساطعة ومياه البحر الأحمر. وقد واجه المتاعب خلال عام مزدحم وكانت زوجته شيرى محل اتهامات وهجوم عليها فيما أطلق عليه ملف شيرى - جيت، وقد غسلت مياه البحر الأحمر متاعب رئيس الوزراء البريطانى وزوجته وأنجاله.. وقد رأيته فى خليج نعمة سعيدًا بهذه الإقامة على أرض مصر.

وجمال شرم الشيخ وعذوبة المكان علامة على مصر الطبيعة والتاريخ فى عناق شديد التألق للحوار البالغ الثراء مع العصر ونظام الحياة والانفتاح على العلم بهذه الطاقة المصرية الهائلة.